جَماليَّةُ بِنيةِ النّص

كِتابُ الإمامِ الحُسَين عليه السلام إلى أَشرافِ البَصرةِ إختياراً

د. حيدر محمود شاكر

جامعة البصرة – كلية التربية – قسم اللغة العربية

المُلخّص:

تعتمد هذه الدراسة التحليل التأويليّ في رصد علاقات التوافق الجماليّ وكشفها في بنية الإيجاز؛ بوصفه مركز تبئير الدلالات في بوتقة آفاق انتشارها بين خلايا كيمياء هندستها ، مع شفرات تشكّل تراتب بنى هيأة تركيب النّص بتداخلات بنيتهِ ، بصبغة أُطر رؤية المنشيء المنصهرة في آلية إنتقائه أدبية اللغة وملازماتها الفنية ، إذ إنّ النصوص المتعالية والإستثنائية ؛ القرآن الكريم ومنطوق الوحي ومنبع العلم اللدُنّي مكتنزة بالذي ندرسه ، جعلت إختيار كتاب الإمام الحسين عليه السلام أُنموذجاً.

مدخل في وظيفة الإيجاز الجماليّة :

يعدُّ الإيجاز ركيزة مهمة من ركائز دلالات جمالية بنية النص ،إذ يحتل البؤرة التي تتبلور حولها إنبعاثات دلائل معاني الرسالة التي يروم المنشيء إيصالها إلى جمهوره ومتلقيه ،تبعاً لإعتبارات مقامه تحتّمها أُطر الظروف المحيطة به بحسب بُعدها الإجتماعيّ والسياسيّ والإقتصاديّ ،وما يلحق بها من مداخلات نفسيّة وزمكانيّة عند موقف مقامه الحالي نفسه الذي يتلابس معه ،ممّا يحدو به إلى اللجوء للخزين المعرفيّ وثرائه اللّغويّ ،واستقراء أحوال ما يدور حوله على وفق تلك الإعتبارات ليجسّد هذا

بتوظيف الإيجاز بأبهى صورة وأحلى تشكيل ،ويرسم به عن طريق متعارفات متلقيه التكامل الجماليّ عبر إيصاله بأسرع وأقصر وأوجز معاني ودلالات وألفاظ وجمل وتراكيب إلى أذهانهم كلّ بحسبهِ أي جعل ((كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم)) [١].

ولقد كان الإيجاز موضع إعجاب متواتر في التراث العربيّ ،إذ قيل فيه الكثير عن ((قيمته وارتباطه بتكوينات الكلام ،واختراقه للسمع ،وقدرته على البقاء ،وسط كلام كثير يجيء ويذهب ويُنسى..[حتى] تبدى الإيجاز آية الترفع عن مستويات كثيرة من الثرثرة والتفصيلات...)) [٢]،وعلى وفق هذه النظرة تظهر وظيفة الإيجاز لنا في ((توضيح الفكرة بأيسر عبارة وأقرب طريق..)) [٣]،حتى أصبح قاعدة البلاغة بل تجلّى البلاغة نفسها ،وقد بيّن هذا أكثم بن صيفي الذي يرى أنَّ ((البلاغةَ هي الإيجاز..)) [٤]، فهو إذاً حقيقتها الجوهرية التي تَأْمَنُ معه وجودها من حيث البلاغةُ في بُعدها الوظيفيّ (مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحتهِ)*،إذ إنَّ ما يُشكِّل آليّة وظيفتها ثلاثة عناصر:(أ)المطابقة،و(ب)مقتضى الحال ،و(جـ)الفصاحة ،وكلّها تستدعي الإيجاز حال إشتغالها !، باختزال الألفاظ واقتصاد الجمل واقتطاع التركيب وحذف يطال أي جزء في بِنية النص ،أو باللّمح الدّال المفضي إلى الاختصار[٥]،أو بانتقاء الإشارة إلى المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل[٦].

---

١ ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص١٧٠.
٢ ـ اللغة والتفسير والتواصل : ص٢٨١.
٣ ـ تأريخ الأدب العربيّ ـ صدر الإسلام وعهد بني أميّة ـ: ص ٨٤.
٤ ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها:جـ١، ص ٣٤٤.
* مشهور لا يحتاج إلى التوثيق.
٥ ـ نفسه: جـ١، ص ٦٨و٦٩،و٧٣ومابعدها. ، وينظر : المصطلح النقدي في نقد الشعر : ص ١٢٧.
٦ ـ معجم البلاغة العربية ،د.بدوي طبانة:جـ٢، ص ٩٢٣.

وبحسب هذا التفاعل الوظيفيّ بين جوهر الإيجاز وغائية البلاغة فهما يشكّلان تداخلاً جماليّاً في هندسة بنية هيأة النّص ،بفعل نتيجة غاية هذا التوظيف في تكثيف التفصيل والجزئي في دوال مضغوطة.

وعليه فإنَّ الوظيفة الجماليّة التي يؤدّيها (الإيجاز) من حيث ما تتمتّع به البِنية النّصيّة ذات الوقع السريع على ذهن المتلقي من جهة ،وبوصفها بؤرةً تجمع أُطر مكوّنات النّص نفسه وقضاياه في تراتبِ بنائيةِ شرائحهِ الدلاليّة المكثّفة – بفعل آليّة الإيجاز–على استقطابِ خَلَد القارئ واستيعاب ذهنهِ أيضاً.

إذ تَبدأ الوظيفة الجماليّة له حركتَها وتُباشر نشاطَها على وفق حاجة المنشيء بحسب مقامه وحاله ونحوهما ،تُجاه أداء التبليغ الدلاليّ لمضمون الرؤية الراهنة عنده إلى المتلقي إيماناً منه بإشراكهِ بما يهمّهُ في عملية تناقل الرسالة الملقاة على عاتقهِ لتجاوبِها تقويماً وتعديلاً وهُدىً في سبيل رقي التأمّلِ وتقدّمهِ في تعميل المنظومة الفكريّة لإكتشاف مراكز تبئير معاني النّص ودلالاتها. وملجأ المنشيء في هذا كلّهِ هو أقصر العبارات وأغناها معنىً في قدح شرارات الجماليّ وظيفيّاً ودلاليّاً وإبلاغاً لتلك الرؤية التي يرجو دفعها لقرائه، على وفق سياق منظومتهم الديالكتيكيّة في إقامة المعاني فيما بينهم[٧]. ليتحقّق الإندماج النفسيّ والوجدانيّ[٨] والإشراك الإنفعاليّ أيضاً.

وقد تنبّه الزمخشريّ إلى جماليّة الإيجاز فعدّه حلية في أثناء تلقيهِ إيجاز القرآن المعجز،فقال إنَّ:((الإيجاز من حلية القرآن الكريم..)) [٩]،إذاً هو زينة تعطي متقلِّدها جماليّة ظاهرة أنيقة لجسد النَّص مع إنعكاس المُبطَّن الذي تضمره روحه ،ومن ثَمَّ تتجلّى ((القيمة الذاتيّة))[١٠] له في رسم ملامح البنية بوصف منحها تماسكاً ورونقاً خاصاً متناسباً وطبيعة إعتمال الموضوع والمناسبة التي يُوظَّف لأجلها حتى يصل بأحملى اشتعال

٧ ـ ينظر: تأصيل الأسلوبية في الموروث النقديّ والبلاغيّ (رسالة) : ص ٤٩ .
٨ ـ ظ : خصائص التركيب – دراسة تحليليّة لمسائل علم المعاني - : ص ٧٩.
٩ ـ الكشّاف : جـ١، ص ٢٢٤.
١٠ ـ اللغة والتفسير والتواصل : ص ٢٨١.

جماليّ إلى بطون جمهوره وأذهانهم ،من خلال ما يقوم المنشيء به من(تحويل المعلومات الجديدة إلى إشارات عبر ترتيب الكلمات ونبر الأصوات وتحويل الأسماء إلى الضمائر ويكون إبراز معنى الموضوع أو التغيير فيه من خلال الهاديات اللغويّة السابقة بحسب اكتمال الفكرة) [١١].

فبعدما يؤدي المنشيء إيصال فكرته الرؤيويّة في بيان رسالته تجاه متلقيه ليُفهمه إيّاها واسطة تلك الإشارات والإلماحات والإختزالات في بِنى التركيب وألفاظه عبر مُخطّطٍ يكوّنه لمعالجة معنى النص ((كافتراضاتٍ مترابطةٍ في نظام هرميّ تشتمل فيه العبارات الخبريّة على الموضوعات الرئيسة ويسمّى هذا التنظيم بـ(جذر النّص)..)) [١٢]،الذي يعدُّ الجوهر الأساس والقطب الرئيس في تشظي دلالات البنية المركزيّة والهامشيّة.

وعليه فإنَّ ظاهرة الإيجاز، تُشكِّل جزءاً من محيط الجدال الذي بآن في بعض مراحل التطوّر اللغويّ [١٣]،إذ جسّد ركيزةً كبرى في حقل جماليّة الثقافة اللغويّة الذي بدوره يتطلبُ إحساساً تأمُّليّاً وشعوراً تأويليّاً. بكونه يستحيل الخطاب البنيويّ من مستواه اليوميّ إلى تركيبه الفنّي الأدبيّ الجماليّ لإستيعاب المنظومة التأويليّة في استقطاب سُوس*النّصوص التي ترمى بالمتعاليّة أو الاستثنائية[١٤].

نظرة عامّة في إيجاز نثر الإمام الحُسَيْنِ عليه السلام :

إنَّ الذي يتأمّل نثر الإمام عليه السلام مُدقِّقاً ، وفي بنيات نصّهِ – من حيث أنماطُه كلُّها– مُنقِّباً مُطبِّقاً ،يجد أنَّ ظاهرة الإيجاز مهيمنة على نثره الشريف كلّهِ ،وكيفيّة هندسة بنائه

---

[١١] ـ سيكولوجية اللغة والمرض العقليّ : ص ٧١.
[١٢] ـ نفسه والمكان أنفسهما.
[١٣] ـ ينظر : نفسه : ص ٢٨٢.
* السُّوسُ بالضّمّ : الطَّبِيعَةُ والأَصْلُ والخُلُقُ والسَّجيَّة .
[١٤] ـ ظ : المستويات الجماليّة في نهج البلاغة : ص ١٢٧.
* كتاب سيبويه ليس بأفضل من كلام المعصوم (ع) عندما وسّموهُ بـ(قرآن النّحو) .

المتجسّدة فيه توظيفاً جماليّاً ، من حيث آليات الإنتقاء لوحدات البنية وجزيئياتها ، وسيلحظ إشعاعات إيجاز القرآن واضحة متعمّقة فيه ،وصيغه متجليّة متلبِّسة على هيأة بنياته أيضاً ، ومن ثَمَّ سيرى هو بحقّ أنَّه قرآنُ الإيجاز !.*

ونادراً ما كان يطيل بنية نص نثرهِ ، إلّا لضرورة يستدعيها (مقامُ) حالهِ ، وظرفُ (قولِ) آنهِ ، كإجابته في صغرهِ ، عندما سئل عن معاني أصوات الحيوانات [١٥]، إذ بلغ طول سعة نصّه أربع أطراس ، نورد مقطعاً منه ،((إِذَا صَاحَ النَّسْرُ ،فإنَّه يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ!عِشْ مَا شِئْتَ فَآخِرُهُ المَوْتُ. إِذَا صَاحَ البَازي، يقولُ: يَا عَالِمَ الخَفِيَّاتِ، يَا كَاشِفَ البَلِيَّاتِ، وإِذَا صَاحَ الطاووسُ يقولُ: مَولايَ ظَلَمْتُ نَفْسِي واغْتُرِرْتُ بِزِيْنَتِي فَاغْفِرْ لِي. وإِذَا صَاحَ الدُّرَّاجُ يقولُ: الَّرحمن عَلَى العَرْشِ اسْتَوى. وإِذَا صَاحَ الدِّيكُ يقولُ: مَنْ عَرَفَ اللهَ لَمْ يَنْسَ ذِكْرَهُ. وَإِذَا قَرْقَرَتِ الدَّجَاجَةُ تَقولُ: يَا إلهَ الحَقِّ أَنْتَ الحَقُّ وَقَوْلُكَ الحَقُّ يَا اللهُ يَا حَقُّ. وإذا صَاحَ البَاشَقُ يقولُ: آمَنْتُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ. وإذا صَاحَتِ الحَدَأَةُ تَقولُ: تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ تُرْزَقْ. وإذا صَاحَ العُقابُ يقولُ: مَنْ أَطَاعَ اللهَ لَمْ يَشْقَ. وإِذَا صَاحَ الشَّاهِيْنُ يقولُ: سُبْحَانَ اللهِ حَقَّاً حَقَّاً ...)).

إذ انفرد عليه السلام به عن العَالَمين جميعاً بما فيهم سائر المعصومين عليهم السلام ، لهو من النوادر والأعجوبات !.

وكذا خطبته في منىً [١٦]، التي اتَّسمت بالحوارية في تحذيره المسلمين من إمارة يزيد الفاجر ، وصل نصُّها أربع صفحات خطابيّة ، إلقاءً للحجّةِ ، وإعداداً للنصرة والنهضة.

---

[١٥] ـ ظ : تفسير كنز الدقائق : جـ١ ، ص ٤٧ ،وتنظر : موسوعة كلماته : ص ٤٧ .

[١٦] ـ تنظر : موسوعة كلماته : ص ٣٣٠ .

وكذا الحال عند قوله في عداوة اليهود لله ولرُسله وأنبيائه وإخلافهم العهود [١٧]، الذي بلغ سبع أطرس. وكذلك في بعض أدعيته كدعاء (العَشَرات) [١٨]، إذ وسع ثلاث صفحات.ودعائه يوم (عرفة) [١٩]، فتجاوز ست عشرة صفحة.

جماليّة بنية إيجاز نثر الإمام الحُسَيْنِ عليه السلام :

إنَّ جمالية البنية لإيجاز نثره ، إنمازت بالتلوّن الأسلوبيّ من حيث تجنيد المؤكّدات قبال المحذوفات بتعاضد بين المعطوفات والإضافات على مستوى الأدوات والجمل والمفردات والتراكيب المتنوعة من جانب ، وعلى مستوى توظيف الغائيات البلاغية التي تسند إيجازه من جانب آخر، وتعضد احتمالات استيعاب رؤيته الموضوعية للهدف الرئيس الذي من أجله كوّن بنية إيجاز نثره إبتغاء إيصاله إلى جمهوره ومتلقيه إذ ألبسه لباس التكثيف ، والجمع التركيبيّ من خلال ضغط خلايا الرؤية المتاحة في مضمون أفكاره مع بنية تَشَكُّلِ نصِّهِ النثريّ ، الذي بدوره يوسّع مركز تبئير تشظي الدلالات الإحتمالية [٢٠] نحو قارئه فتحدث عنده انفعالات جمالية ، تزامناً مع الإنفلاق الدلاليّ الذي يحويه اقتصاد التركيب ، وومضة شفرة الدلالة المتحولة من البنية الإيجازية السطحية ، انصهاراً مع دائرة تبلور دلالات المعاني في مضمون البنية العميقة.

ومن ثَمَّ تتآصر تلك المؤكّدات وما يجاورها من معطوفات و إضافات وثنائيات متقابلة في الإشتراك وعند التضاد ، متماسكة مع دلالة الأفعال بتراتب تمركزها البنائي في التركيب الذي تحتّمه طبيعة الرؤية في إفرازاتها الشرائحية المنعكسة من الأفكار والمواقف

---

[١٧] - ظ : نفسها : ص ٦٥٣ .
[١٨] - ظ : نفسها : ص ٩٣٧ .
[١٩] - ظ : نفسها : ص ٩٤٦ .
[٢٠] - ينظر : الأسلوب والأسلوبية : ص ٧٤ .

التـي وُلِدَتْ لمشكلة مـن المشـكلات أو لخـاطرة مـن الخـاطرات أو لهـاجس مـن الهـواجس وبحسب السّبب أو المسبّب في ولادة هيأته البنيويّة ، وصورة تأثّراته البنائية الإيجازية.

إذ إنَّ سمة بنية إيجاز نثره عليه السلام يسودها التنويع والتّعدد والتشعب في التوظيف الآلي لمكوّنـات البنيـة ، ونعنـي بـالتنويع ؛ هـو إيجـاز نثـره ذو بنيـة متراتبـة فـي نسـق اشـتغالها الجماليّ علـى نظـام تراصـف حقـول شـفرات وحـدات البنيـة الكليّـة للنّص كلّـه. وعلـى وفـق القرينـة السياقيّة للوحـدة المقطعيّـة ، أو بحسـب تـرابط القرآئن السياقية التـي بلـورت كيميـاء كبكبـة الـدلالات الموحيـة إشـاريّاً وتلميحيـاً ،ومـن ثَـمَّ يتـأتى اكتمـال الفكـرة مكثَّفـاً مشـحوناً بالمعـاني التأويليّـة الإحتماليـة المستهدف وصـولها بعلائـق دلالاتٍ ناقلـةٍ لهـا إلـى منظومـة المتلقـي الفكريـة ، يقوم بتحليلها تأويليّاً وعندها يصدر استجابة لها بفعل استيعابه لأحد إحتمالات تشظي الدال الأسرع إنجذاباً في نقطة تقلّب جدلية الوصل والفصل بين الذات والموضـوع [٢١]الـذي قصـد اسـتقباله واسـتقطابه لعلمـه تلـك الإحتمـالات التشـفيرية للمعنـى الموجّز بنائياً الذي احتضنته هذه السعة الأسلوبية ((لكثرة المعاني وقلّة المباني)) [٢٢].

لذا فإنَّ القارئ لنثر الإمام الحسين عليه السلام سيجده عبر قرآءة متفحصة ، ونظرة دقيقة أنَّ نصوصـه قد تفاوتـت فـي درجـة إيجازهـا قصـراً وتوسـطاً ، مـن حيـث تشـكّلات البنيـة وتكويناتهـا مـن جانـب ، ومـن حيـث توظيـف الإمـام لطاقـات الإيجـاز بمسـتوياتها اللغويـة والبلاغية والتركيبية وأبعاد بؤرها الدلالية ، وشفراتها اللفظية ، وصورها الصوتية كلّها من جانبٍ آخر.

وبَعْدَها يُحَسُّ بجماليـة بنيـة إيجـاز نثـره قد اخترقتْ فلكـه العقلـيّ ، وتوغّلتْ وجدانـه القلبيّ ، وشعوره الروحيّ ، وقد أسستْ في كيانـه إندهاشـاً وتـأثّراً من دون أن تطرق بـاب فؤاده أو تستأذن جَنانَـهُ ، بوصـفها خَلْقَ إمـامٍ يخاطـبُ ضـمير الإنسـان وقلبـه المـتعطش للهدى وللرشاد ، قبل محاورة وجوده المادي والتكوينيّ المنغمس في شهوات لذّات الدنيا.

---

٢١ ـ ينظر : التلقي للصحيفة السجادية (رسالة) : ص ٦٤ .
٢٢ ـ التكوين الجماليّ – الصورة ومصادرها في قصيدة الخنساء – (بحث) : ص ١٣١ .

التحليل التأويليّ الجماليّ لبِنية إيجاز كتابهِ عليه السلام إلى أشراف البصرة:

إذا جئنا ولوجاً في رحاب كتابه الذي أرسل به رسوله إلى أصحابه من شيعتهِ الخُلَّص، ونحن متأمّلين تداعيات إنبثاقه إليهم ، التي كانت خُلاصةَ رؤيتهِ ، إذ تندرج في الأسباب الآتية :

أ ـ تفاقم الإنحراف وسريانه في بيضة الإسلام ، وانتشار الفساد والفجور في جسد الأُمَّة الإسلامية في ظل دولة بني أمية [٢٣].

ب – أخذ معاوية في أُخريات أيامه البيعة من الناس بالقوَّةِ لابنه يزيد ظلماً وجوراً ، وطلب من الإمام الحسين عليه السلام بمبايعته فرفض ممّا أدّى إلى إرساله العسس خلف الإمام لإغتياله في المدينة ، وكان هذا سبباً في هجرته إلى مكةَ المكرمة سرّاً ! [٢٤].

ج – ومن مكة أرسل كتابه سرّاً عن عيون يزيد بيد رسوله إلى أصحابه بنسخةٍ واحدةٍ وطلب الإمام منهم الكتمان والسريّة به ، فَكُلٌّ من قرأه كَتَمَهُ ! [٢٥].

فالنظرة التأملية لهذه التداعيات مع طبيعة تشكُّل بنية إيجاز نصّه من خلال تتبعنا وتحسّسنا علاقات الوظائف التوافقية الجمالية التي تؤديها البنية بما تحمله من تناسق لبنيات تركيبه وتراتبها في المستويات المكوّنة لها ، ستتجلّى جماليته البديعة بتآصر عناصرها.إذ رسمت هي الأُخرى تعاضدت الدلالات لتلك الرؤية المجسِّدة لمتطلبات السياق المقاميّ والمضمونيّ معاً صورتها مع البنية نفسها الحاملة لها. ونصُّ كتابهِ المُرْسَلِ إلى الأشراف هو الآتي :–

---

[٢٣] ـ ظ : حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام ـ دراسة وتحليل ـ: جـ٣ ، ص ٢١ .

[٢٤] ـ ينظر : صفحات من تأريخ كربلاء : ص ٢١٨ . و ظ :مقتل الحسين عليه السلام تحـ / السيّد المقرّم : ص ١٣٨ وما بعدها.

[٢٥] ـ ظ : نفس المهموم : ص ٨٤ . و ظ : موسوعة أنصار الإمام الحسين : جـ١ ، ص ١٧٣.

{...أَمَّـاْ بَعْدُ فَـإِنَّ اللهَ اصْـطَفَى مُحَمَّـدَاً ﷺ عَلَـى خَلْقِـهِ ،وَأَكْرَمَـهُ بِنُبُوَّتِـهِ ،وَاخْتَـارَهُ لِرِسَالَتِهِ ،ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ ،وَقَدْ نَصَحَ لِعِبَادِهِ ،وَبَلَّغَ مَاْ أُرْسِلَ بِهِ ﷺ ،وَكُنَّا أَهْلَهُ وَأَوْلِيَـاءَهُ وَأَوْصِيَاءَهُ وَوَرَثَتَهُ وَأَحَقَّ النَّاسِ بِمَقَامِهِ فِـي النَّـاسِ ،فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَـا قَوْمُنَـا بِذَلِكَ ،فَرَضِيْنَا وَكَرِهْنَـا الفُرْقَـةَ وَأَحْبَبْنَـا العَافِيـةَ ،وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّـاْ أَحَقُّ بِذَلِكَ الحَقِّ المُسْتَحَقِّ عَلَيْنَـا مِمَّنْ تَوَلَّاْهُ ؟!،وَقَدْ أَحْسَنُوْا وَأَصْلَحُوْا وَتَحَرَّوْا الحَقَّ فَرَحِمَهُمُ اللهُ وَغَفَرَ لَنَاْ وَلَهُمْ .

وَقَدْ بَعَثْتُ رَسُولِي إِلَيْكُمْ بِهَذَا الكِتَابِ ،وَأَنَـاْ أَدْعُوْكُمْ إِلَـى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّـهِ ﷺ ،فَإِنَّ السُّنَّةَ قَدْ أُمِيْتَتْ وَإِنَّ البِدْعَةَ قَدْ أُحْيِيَتْ ،وَإِنْ تَسْمَعُوْا قَوْلِي وَتُطِيْعُوْا أَمْرِي أَهْدِكُمْ سَبِيْلَ الرَّشَادِ ،وَالسَّلَاْمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ...} [٢٦].

إنَّ هذه الأجواء الحرجة العامّة المحيطة بالإمام وشيعتهِ آنذاك ، جعلت سماء لحظة تقييد كتابـهِ متلبِّدة بـ(السريّة) المطلقة جدَّاً ، حدَّ أَنَّها استحالتْ مُظلمة بسواد (الكَتْمِ) و(الكِتْمَانِ) في رابعة النهار..! ، إذ ألقيا بظلالِهِمَا على كتابه ﷺ فكانا مهاداً رحباً تبلورت فيه تكوينات بنية الإيجاز في النص كلّهِ ، حتى أَنَّه تجلّى كتلةً موحَّدةً جسّدتْ ما يستدعيهِ المقام القولي والحالي بظروفهِ كلِّها ، فاصطبغتِ البنية بـ(الإيجَازِ المُكَتَّمِ) بفعل هيمنة السريّة والكتم معاً عليهِ.

إذا ألقينا على بنيتهِ الإيجازية نظرتنا التأمّلية التحليلية التأويلية الجمالية سنكتشف الآتي :-

إنَّ الإمام أرسل كتابه إلى شيعته من أشراف البصرة ، وقد خلا من ذكر الإستهلال المتعارف عليه يومَئذٍ من دون ذكر البسملة ، واسمه المباركينِ أيضاً ، ليلفتَ إنتباهَهُم ويشدَّ أذهانَهم[٢٧] ، ليعلمهم بالظرف الإستثنائيّ وحسّاسيته الذي يمرّ بأُمَّة الإسلام إلى مستوى خطرٍ جدّاً أَوّلاً ، وبحالهِ التي أحاطته في أثناء تدوينهِ ثانياً ، ليفصحَ مضموناً سيميائياً عن دلالة مضمرة تشكّل مفتاحاً معنويّاً تترشّح منه دلالات المعاني المبثوثة في بنية إيجازه العامة ، فيفُكُّ متلقُّوه مغاليق إحتمالات أفكار بُعدِ غَرَضِ الموضوعِ الرئيسِ في

[٢٦] ـ تأريخ الطبريّ : جـ ٣ ، ص ٢٨٠ . موسوعة كلماته : ص ٣٨٣ ؛ و مقتل الحسين ﷺ تحـ / السيّد المقرّم : ص ١٤١ .
[٢٧] ـ ينظر : جماليات المقالة عند د.علي جواد الطاهر : ص ٨٧ .

البنية ، التي تحوم حول بؤرة الدلالة المركزية ، فَلَقَها كلَّها الإستهلال المحذوف ، الذي يعبّر عن سعة إنحراف الأعراف والقيم والتقاليد ، ويكشف تخوّف الإمام ﷺ على كتاب الله وسُنَّة جدِّه ﷺ وإسلام أُمَّتهِ ، ويعلن براءته على أفعال بني أُمية بقرينة رفعه البسملة من بنية كتابه ، كما أعلن الله البراءة في سورة التوبة على المنافقين والكافرين والمشركين[٢٨].

ابتدأ نصّ كلامه ودخله مباشرة بـ**(أَمَّاْ بَعْدُ)** التي تفيد الأسلوب التركيبي المستأنف معنى فصل الخطاب لشيء لا يُحتمل تجاوز خط شرع الله فَعَمِدَ إليها ليفصل بها بين الحقّ والباطل الذي استشرى ، وتعطي دلالة الدعوة لنصرة دين الله الإسلام. لذا نجده تالياً على هذا الأسلوب ومؤكّداً بالجملة الإسمية المشتملة على لفظ الجلالة (الله) التي وظّفها بديلة عن البسملة إذ يتقدم ذكر الله فيها مجاوراً لذكر الإصطفاء المحمّديّ ، لأنَّ التأكيد جاء ليصدّق مرجعية الحقِّ بتناسق هذا التراتب من جانب ، ولأنَّ هذا التأكيد بأداة التوكيد الأُمّ (إنَّ) يفيد التّماسك والائتلاف والسَّبك بعدم الانقطاع بينهما، وبثبوت أزلية التواصل أيضاً، ويفرغ القول إفراغاً واحداً ، فيصير أخَّاذاً يؤسر النفوس ويهزّها [٢٩].

وهذا التوكيد أجرى إنزياحاً لعمدة الجملة :(الله) في قوله :(**فَإِنَّ اللهَ اصْطَفَى مُحَمَّدَاً** ﷺ)، بعدما كانت فعلية :(**اصْطَفَى اللهُ مُحَمَّدَاً** ﷺ)، إذ إنَّ الإمام قدّمه على فعلهِ ليعضّد مركز التوكيد الإبتدائيّ في رتبتهِ التركيبية ﷻ بأنَّ (الله) هو الإبتداء قبل الإصطفاء فضلاً عن موضع الإختصاص به وبالإختيار وبالتعيين له ﷻ ،فهو الأوّل الذي لا أوّل قَبْلَهُ ،إذ اصْطَفَى مُحَمَّدَاً فصار مَظِنَّةَ قرب الله في تراتب الجملة المؤكّدة بفعل الإصطفاء نفسه ،وأكّد الإمام هذا التراتب بشِبه الجملة المتعلقة به تعالى **(عَلَى خَلْقِهِ)** إذ إنَّ الإضافة بالمضاف **(خَلْق)** أكّدت الإصطفاء للنّبي ﷺ ولم يذكر الإمام من هم الخَلْق لعلّةِ إفادة العموم والشمول والإطلاق والإستغراق للخلق كلِّهِ ،وأَمّا بالمضاف إليه (الهاء–هِ)

[٢٨] - ينظر : تفسير الفخر الرازي - سورة التوبة - : جـ ١٥، ص ٢٢٣ وما بعدها .
[٢٩] - ظ : التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري القديم : ص ٤٨ .

فحصرت فعل الإصطفاء له وحده تعالى بقرينة ملازمة التعلُّق به ،ليدل هذا النسق التراتبي دلالة الحصر التركيبي والقصر أيضاً ، وإشارة لأهمية حدث الفعل التأبيديّ.

إنَّ هذه الإضافة هي الرئيسة المتصدّرة في كتابه بآلية توظيفها العلائقيّ بالله ﷻ حتى انفلقت فشكّلت إضافات متصلة الضمير الدال إلى قرينة المتعلّق به. إذ توزّعت بين مدلولين جَمَعَهُمَا الإلتفات دلالياً. وبأداة العطف وحرفهِ نلحظه عطف أحدهما على الآخر تقديماً وتأخيراً ،لإفادة التلازم والملازمة والإرتباط الوثيق الذي يقهر من أراد الوصول إليه إلّا قُذِفَ بشهاب ثاقب..!.

وهذا البناء المتلاحم الذي جنّده الإمام عليه السلام ليُجذِّر التأكيد الشديد الذي يُبْعِد شُبَهَ الشك والتردد وعدم الإطمئنان عند الآخر– المتلقي ،وفي البرهةِ نفسها يقوّي إيمانه وثقته بعمق الإرتباط من قريب رحمة الله ونبوّة الرسول ﷺ ،و فوق تثبيته وتوكيده هذا فقد عزّزه وآصره وقوّاه بالإفراد اللفظيّ الذي جاء في السياق نفسه بالأفعال الدالة إلى خصوصية الفاعل الواحد أو المؤشرة إلى المفعولية والمعمولية الواقعة على من اتصل به ذلك الفاعل وهو الله الذي تجسّدت فيه هذه الإعتمالية الدالة إلى الضمير العائد إليهِ هو النّبي بَدْءاً بالأفعال المختصّة بفاعلية(الله)=(اصطفى– أكرم – اختار– قبض) وكلّها جاءت متعاطفة على بعضها فدلّت إلى أنَّ المعطوف لهو الأصل والقاعدة [٣٠]، بقرينة دلالاتها إلى الحدوث والتجدّد [٣١]؛ أو المسندة بفاعلية النّبي (محمّد)=(نصح – بلّغ) بحسب المطلب السياقيّ ،الذي أعطى جمالية اندماج متلقيهِ في متابعة سلسلة موارد مضمون بنية كتابه ، أَمَّا الفعل **(أُرْسِلَ)** فهو المنفرد بالبناء للمجهول من بين أفعال القسم الأوّل التي وظفّها الإمام عليه السلام وغاية إنفراده تظهرها علاقتُهُ بالفعل **(بَلَّغَ)** مضعّف العين الدال إلى الكثرة والمبالغة فيها ؛ مقترناً بدلالة التعظيم للذي لم يصرح بهِ – الاسم الموصول– أرسله اللهُ إليه وأدّى تبليغَه ، إذ قام الإمام بحصره تراتبيّاً في تركيب الجملة:(**وَبَلَّغَ مَاْ أُرْسِلَ بِهِ** ﷺ) بينها ليكون إشارة رمزية لأصحابه إلى قول الله تبارك اسمه: **﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا**

[٣٠] ـ ينظر : دلائل الإعجاز- باب الفصل والوصل - : ص ٢٤٤ .
[٣١] ـ ظ : الخطاب الحسينيّ في معركة الطف : ص ٥٧ .

يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [٣٢]، هدفاً من الإمام في إبقاء أصحابه تحت ظلال القرآن ، وليجعلهم عاملين بأحكامه ، متّبعين أوآمره ، مجتنبين نواهيه ، عارفين منه الحقّ وأهله ، فما أحلاه من تكثيف..!.

ومن ثَمَّ نراه يعدل من صيغة الإفراد بإلتفاتهِ إلى خطاب الجمع في قولهِ :**(وَكُنَّا أَهْلَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ وَأَوْصِيَاءَهُ وَوَرَثَتَهُ وَأَحَقَّ النَّاسِ بِمَقَامِهِ فِي النَّاسِ)** بعطف الجملة المتصدرة على المتقدّم كلِّهِ ، لإقامة ترابط تأكيدهِ في حال الإفراد الدال إلى عمق صلة المرجعية الإلهية بالنبوّةِ وبهِمْ (أهل البيت ﷺ) عبر تراكيب الجمل الإسمية المتسلسلة عطفاً بـ(واو العطف) اللاحقة بجملة :(**وَكُنَّا أَهْلَهُ...**) التي تحمل دلالة الثبات والدوام [٣٣] ، و**(كُنَّا)** هنا تامّة مرتبطة بالزمن المستمر والحدث الثابت في تأكيده استمرارية الإمامة ، ولقد وردت في التعبير القرآنيّ بهذا المدلول كثيراً ؛ كقولهِ تعالى :**﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾** [٣٤]، وقوله :**﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾** [٣٥]، فضلاً عن الإضافة الضميرية التي أفادت الإثبات والتأكيد معاً في آن واحد بوصفها سمة رئيسة في أساس بنية إيجاز النّص ، بعدما عمد إلى حذف المسند إليه الواقع مبتدأً ، وهو الضمير المنفصل (نحن) في الجمل الإسمية :(**وَنحن أَوْلِيَاؤهُ ؛ وَنحن أَوْصِيَاؤهُ ؛ وَنحن وَرَثَتُهُ ؛ وَنحن أَحَقُّ النَّاسِ...**) فحذفه يثير جمالية بديعة لا يعطيها حال ذكره [٣٦]، لشدّه إنتباه المتلقي ولإيجازه من عدم التكرار الذي يخلف مَلالاً عنده ، ولأن دلالة (نحن) النحويّة تحمل معنى الإنفصال التركيبيّ فلا تقوّي المضمون الذي يقصده الإمام ﷺ ، ولم يكتفِ بهذا ؛ بل راحَ مؤكّداً بالإضافة أيضاً بعودة الضمير إلى النّبي ﷺ في أخبار الجمل المتعاطفة ، مشفوعاً بتكرار لفظ **(النَّاس)** مرتين ولكن بدلالته الحصرية في وضع شِبهِ الجملة المتصلة بالضمير العائد إليه **(بِمَقَامِ/هِ** – النّبي) بينهما لتجسّد معنى خصوص أحقيتهم ، وليرسّخ تأكيده حال الإفراد في ذهن المتلقي قبل إلتفاته الجمعيّ ؛ فوضع جملة :(**وَكُنَّا أَهْلَهُ** و.. و.. و..إلخ) بين قوله:**(وَبَلِّغْ مَا أُرْسِلَ بِهِ ﷺ)** وقوله:(**بِمَقَامِهِ..**) ليعبر هذا الحصر عن

---

[٣٢] ـ المائدة : ٦٥.
[٣٣] ـ ظ : م. هـ ٣٠ نفسه : ٥٨.
[٣٤] ـ الأنبياء : ٥١ .
[٣٥] ـ القصص : ٥٨.
[٣٦] ـ ينظر : في جمالية الكلمة : ص ٨٤ . و ينظر : الخطاب الحسينيّ في معركة الطف : ص ٥٨ .

دلالة التبعيض المعنوية في دائرة واحدة لا انفصال بينهما يتمثّلان صوتاً واحداً هو (الحقّ) الذي يدمغ الباطل ، مع ما تضمّنته (الباء) من دلالة البدلية لتوكيد حقّ المقام لهم ، وتناسباً مع هذا التراتب التركيبي وتناسقه الدلاليّ بمتطلبات السياق الإيجازيّ منه ﷺ تناغماً مع ما أثاره التكرار من وقعٍ خاصٍّ في ذهن المتلقي بفعل التوكيد اللفظيّ الظاهر على إشتغاله صوت حرف (السين) من جرس جهوريّ يتجاوب ومقام الإثبات والإلتفات إليه.

وهذا التأكيد كلُّه جاء الإمام به لكي يهيئ ذهن القارئ في الوقت نفسه ، لشيء ذي أهمية كبرى وحسّاسة ، ثمّ لو لاحظنا أن الإمام كيف جاء بالتراتب التعاقبيّ الذي نجده بين العطف والإضافة إذ بتوظيفه إيّاهما جعلا بنية نصّ كتابه متماسكاً ومترابطاً دلالياً مع مضمون التأكيد والسياق المقاميّ الذي يريد الإمام عبر سلسلة التعاطف بين صيغة الإفراد والإلتفات الجمعيّ وشبه الجملة ذات الضمير العائد إلى النّبي إنفراديّاً والتي كما قلنا أفادت الحصر التخصيصيّ والتأكيديّ في آن واحد.

إذ إنَّ علاقة العطف مع الإضافة علاقة تعاضد تركيبي ، من حيث إنَّ العطف كلّه جاء على جملة اسميّة مؤكّدة بـ(**إنَّ**) التي تفيد التماسك والإئتلاف ، وتهزّ المتلقي وتشدّه ، وهذه الإفادة أخذها العطف ليعضد تأكيد الجمل الحاصل مع طبيعة سياق المضمون ،أمّا الإضافة بمتعلّقاتها كلّها ، فتجسّد التعالق بين أجزائها في جعل ثبوتية الأحقية (لأهل البيت ﷺ) قارة في خَلَدِ المتلقي وصولاً إلى الهدف الأسمى الذي شقّ له الطريق عبر هذا التأكيد المتناهي في العمق الذي يسدُّ أبواب الشكِّ ومشتقاتهِ عنده ودفع أيّ حال ترددٍ يصدر منه في الحين نفسه [٣٧]، وهنا تظهر العلاقات الجمالية التي منحتها الإضافة لبنية الإيجاز ، ولمضمون النص كلِّه ، بوصفها تعدّ عنصراً مهماً من عناصر الإيجاز في الحركة الدلالية.

ومن ثمّ يورد جملة مفتاح الهدف بإلتفاتٍ صغير آخر؛ وبصيغة الفعل المفرد الدال إلى الجماعة..!، في أعلى درجات (التكثيف) في قوله:(**فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا بِذَلِكَ**) ليدل إلى بدايات سريان الإنحراف بالأُمّة عندما رضيت على من سلب مقام رسول الله ﷺ ظلماً وجوراً منهم ، حتى أنشب هذا الإنحراف أظافره فيهم ، وهم لايحبّون الفتنة.

[٣٧] ـ ينظر : خصائص التركيب : ص ٢١١ .

والفعل (**فَاسْتَأْثَرَ**) تكتنز فيه جمالية الإيجاز كلِّه بما تحويه من أبعاد دلالية اختزلتْ المواقف في المضمون كافة.!، بدءاً من (الفاء) التي تصدرت الفعل إذ إنَّها العاطفة الفصيحة [٣٨]، عن المحذوف المقدّر الذي عطفت عليه وتدلّ إليه ؛ وتقديره :(طغى قومنا فاستأثر علينا) ، وهنا تتجلّى دقّة الإمام عليه السلام في التعبير الإيجازيّ ، إذ إنَّهُ وظّفها لغاية في حذف المعطوف المقدّر (طغى) لعلمهِ أنّها تفصح عنه لسريّة الموقف وحسّاسيّته تجاه الوضع المتأزّم ، ولعلم أشراف البصرة به لأنهم شيعته ويواكبون الوضع نفسه ، ومن ثَمَّ فإنَّ الدلالات المركزية لمضمون الهدف الرئيس الذي يتحدث عنه الإمام ألا وهو (الحقُّ المغتصب) تجذّرت في الفعل نفسه بفضل اقترانها به ، ولأهمية تلازم موقعه التركيبي مع الجمل السابقة عليه ، وهي :(**وَكُنَّا أَهْلَهُ** و...إلى ، **وَأَحَقَّ النَّاسِ بِمَقَامِهِ فِي النَّاسِ** ، **فَاسْتَأْثَرَ**...) إذ جاء مباشرةً من دون فصل بينهما ، لأنّه عليه السلام أراد أن يكون الفعل (**اسْتَأْثَرَ**) مركز تشظي الدلالات المتعدّدة للمحذوفات والمذكورات في بنية النص لأنّه هو نفسه المعني بأداء التعبير عن حجم المظلومية ، وسعة تفاقم الإنحراف في الأُمّة الإسلامية ، بقرينة تعبيره :(**أَحَقَّ النَّاسِ بِمَقَامِهِ فِي النَّاسِ**) ، ولو دقّقنا النظر في التركيب نجد أنّه استعمل صيغة المشتق (**أَحَقَّ**) الدال على مصدرية التفضيل ، ومن ثمّ عبّر عنه مؤكّداً بالتوكيد اللفظيّ– كما أشرنا آنفاً – وأكّده بالتوكيد التراتبي في الجملة إذ أقحم شِبه الجملة (**بِمَقَامِهِ**) بين لفظ (**النَّاسِ**) المتكرّر المرتين كما هو بيّن في قوله السابق ، لأنّه يعطي دلالة ميزان العدل الإلهيّ في اصطفاء النبي والمقام لهم منه ، واختيارهما ، وكالآتي في الرسم :

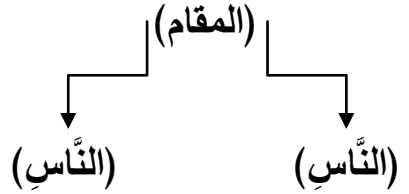

ولينبئ بأهمية المقام إذا كان فيه (**أَهْلُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ وَأَوْصِيَاؤُهُ وَوَرَثَتُهُ**) في تحقّق المساواة والعدل بين الناس كافة.!، لأهمية المقام الحالي والقولي هنا كرّر (النّاس) مرّتين في موضع الإيجاز ، لأنَّ الحصر الدلالي المشار إليه سابقاً له بُعدٌ دلاليٌّ آخر ألا وهو

[٣٨] - ظ : المعجم الوافي في النحو العربيّ : ص ٢١٦ .

دلالته إلى العموم والشمول والإطلاق لمقام النّبوة تناسقاً مع دلالة الحصر في شِبه الجملة المتصدرة كتابه ،(على خلقهِ) أي للناس كافّة أيضاً.

وهذه الإحتمالات كلُّها حشّدها الإمام في بنية إيجازه ليثير انتباه قرّائه ويشدّهم إلى تتابع سير الأحداث التي آلت بالأُمّة ؛ من حيث انحراف القيم والأخلاق والفساد السياسيّ المستشري ، إذ سكبها في الفعل **(اسْتَأْثَرَ)** الذي هو موضع انتقال هذه الدلالات إلى سائر تراكيب نصّه ، فيستحيل الفعل نفسه مرآة عاكسة أخلاق خطّين : الأوّل : خطّ أهل المقام المحمّديّ ؛ والثاني : يمثّل خطّ القوم الذي استأثر على أهل المقام ؛ حتى أنَّ اجتماع صوت حرف (السين مع التاء) لا يأتي في العربية إلّا قليلاً إذا أتى فيفيد دلالة التعمية والغموض [٣٩]، إذاً توظيفه فيه قوّى دلالة مطلب السياق ، بمجيء الفعل مزيداً منه (أ – س – ت) ، وأصله الثلاثي (أَثَرَ) أي ؛ استبد وأخذ ما ليس له بحقّ . وفضّل المفضول على الفاضل المستحقّ ، لذا نلحظ الإمام صدّره أحرف مزيدة لدلالة تأكيد أخذ الحقّ الزائد على غير أهله.

قبال هذا إنَّ الإمام صوّر لنا معادلة محكمة تشير إلى المحذوف وهو (الطغيان) كما تبيّن آنفاً، ولم يتوقف عند هذا ، بل شكلها صوتيّاً بأصوات حركات وزن بنية (الفعل) ، فنلحظ الآتي :

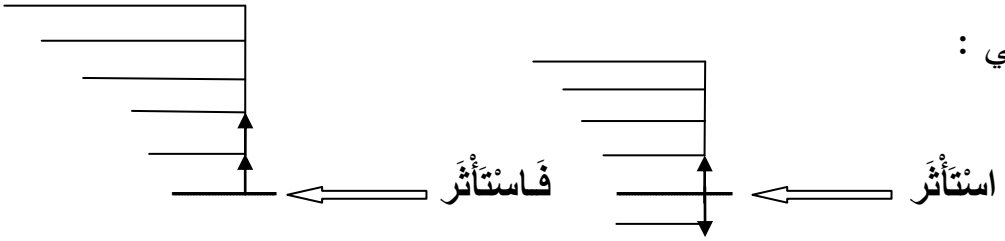

إنَّ التصاعد الصوتيّ الذي كوّنته ترددات النبر المقطعي ، جسّد الطغيان بأقوى صورة صوتية تمثّل فيها انقلاب القيم والإنحراف بدرجة (٣٦٠)ْ ، فدلالة الكسر تدل إلى إنكسار بيضة الإسلام ، بل انمحت معالمُه ، فعندما علا صوت الطغيان ، خلال دخول الفاء الفصيحة التي أحالت همزة القطع المكسورة إلى وصل.

وهذه الصورة تتجلّى فيها سعت الإنحراف والفساد والسقوط في المجالات قاطبةً، الذي أتى به القوم الذين كشفهم الإمام بقوله :(**فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا بِذَلِكَ**) ، وهذا يثبت

[٣٩] ـ تنظر : الموسوعة العربية العالمية ؛ باب التشفير : ص ١٢ .

ما قلناه عن مركزيته في استقطاب تبئير تشظي دلالات (أهل الطغيان) تجاه الرؤية المركزية لبنية النص ، والتي تقابل (أهل الحق الإلهي والمقام المحمّديّ) ، ولقد ارتشفها الإمام من رحيق الدلالة الصوتية القرآنية ؛كقوله تعالى:﴿**تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾[٤٠]الواقعة في (ضِيزَى) .

والإمام حينما أدخل (الفاء الفصيحة) أراد أنْ يعطي دلالة بلوغ الطغيان حدّ أنَّ الحقّ أضحى لا يسمع له صوت بفعل إفصاحها عن الفعل المحذوف (طغى) ليثبت استواءه صوتياً عندما أدّت (همزة الوصل) وظيفتها المكانية والدلالية ومعالجتها العلّة الصوتية ، ووصلها (الفاء) المفتوحة بـ(السين) الساكنة ، ولتنبئ بتوغّل الطغيان إلى مفاصل الإسلام ، وحياة الأُمّة كلّها ؛ صغيرها وكبيرها من خلال ما رصفه الإمام من وحدات صوتية طويلة تدلّ إلى(الإنتشار – الواسع للطغيان)؛ وأخرى قصيرة تلاشت بدخول الفاء الفصيحة تشير إلى انطماس صوت الإسلام الحقّ ، وهذا الفرق حقّق لنا التصوير الدلالي الذي وظفّه الإمام عليه السلام ، مع ما أعطاه من تنغيم إيقاعيّ تداخل دلالياً في الصوت القرآنيّ .

وإذا رجعنا إلى قوله:(**فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا بِذَلِكَ**) ، نلحظ الإمام قد صوّر تأكيد الحقّ المغتصب حصراً تركيبياً بعد إجرائه الإنزياح المكاني فيه ، فوضع شبه الجملة (**عَلَيْنَا**) بين الفعل وفاعله بعد تأْخيره ، ليفيد دلالة الحصر التراتبي بثبوت استلاب مقام وصاية النّبوة وولايتها منهم ، مع تعضيده هذه الدلالة بالإضافة الواردة في اتصال الضمير العائد إلى (أهل البيت عليهم السلام) مع الفاعل نفسه ، ومن ثَمَّ أتبعه باسم الإشارة المتصل بـ(باء البدلية) من المقام المحمّديّ ؛(**بِذَلِكَ**) الذي يعود إلى المقام أيضاً ، بدلالة الإشارة إلى الشيء البعيد ليناسب مطلب سياق مضمون الحصر المترتب آنفاً ، أي مع الحقّ المبعد عنه أهله ، إذ إنتقاؤه كان دقيقاً ومستمدّاً من قوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ** ﴾ [٤١]، لأنَّه تعالى في مورد نفي الريب عنه فاستعمل إشارة البعيد..!.

وإذا دقّقنا النظر ثانيةً في الجملتين ؛(**أَحَقَّ النَّاسِ بِمَقَامِه فِي النَّاسِ**) ، و(**فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا بِذَلِكَ**) ؛ سيتبين المعنى جليّاً من خلال الرسم الآتي :

---

[٤٠] ـ النجم : ٢٢ .
[٤١] ـ البقرة: ٢ .

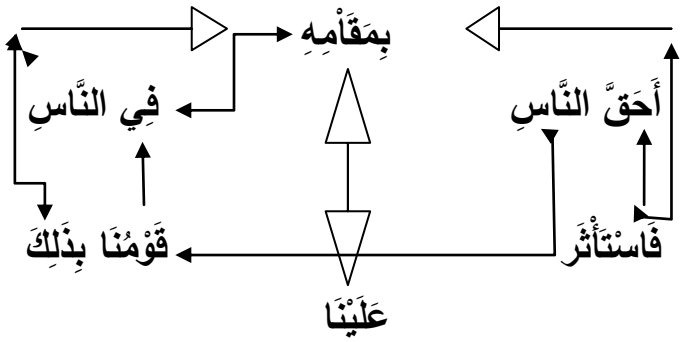

وهنا تظهر جمالية تقابله غير المباشر الذي عبر عنه السياق [٤٢]، نلمح عبر هذه الهندسة التي شكّلها الإمام في نصه لم تأتِ من فُراغ ، وإنمّا جاء بها ليرسخ في ذهن المتلقي سعة سريان الفساد ومشتقاته ، ويبدو لنا أنَّ هذا الرسم لا يحتاج إلى تعليق فهو يعبر عن نفسه ، خلا إشارة واحدة هي كيفية رجوع دلالات ألفاظ الجملتين جميعها إلى (بمقامه) ومن ثَمَّ التبادل الإشاري مع شبه الجملة (علينا) العائد إلى (أهل البيت) ، نجد الإمام وضعهما في مركز تراتبي معادل متوسط الجملتين ، ففي الأُولى بين التكرار اللفظي كما هو واضح ، وفي الثانية بين الفعل وفاعله ، وكلاهما جاء بهما (شبه جملة) ، والتناسب واقع كما نرى بمستوياته كلِّها..!.

ثمّ أنَّه ذكر (القوم) الذي (استأثر) ، ولم يذكر اسماً بعينه ، لعدم أهمية ذكره بقدر ما لبيان الحقّ المغتصب ، والإنحراف السائد ،وبسبب ضياع الحقّ نفسه على أيدي هؤلاء القوم ، ولضرورة السرية التي جعلت الكتمان شيئاً مهماً في أثناء مباشرة الإمام كتابة نص رسالته ، وفي الوقت نفسه أنَّ مفردة القوم تختص بـ(الرجال) من دون (النساء) وفي عصر إمامته إنَّ هذه الدلالة واضحة عند أصحابه ، لأنهم يعلمون أيّ قوم قصدهم ويعنيهم ويشير إليهم .

ويحتمل أن يكون مقصده إلى القوم على الإطلاق بإعتبار المشاركة في أخذ حقّ المقام من (أهل البيت) عن طريق مساعدة بني أُميّة.

[٤٢] - ينظر : الإسلام والأدب : ص ١٣٩ .

وبعد هذا يأتي كلامه ليعبّر عن النتائج التي لا يحمد عقباها متجسّدة بالإنحراف الشامل في مفاصل الأُمّة التي أضحت تأكل الأخضر واليابس وتقلب الحقّ باطلاً والعكس صحيح ، وراحت تنهش جسد الأمّة وروحها وهذا كلّه سببه أنّ المقام صار ليس بيد أهله ، ثمّ فقال:(**فَرَضِيْنَا وَكَرِهْنَا الفُرْقَةَ وَأَحْبَبْنَا العَافِيةَ**) ، فالجمل الفعلية المتعاطفة على بعضها تحمل دلالة الضدّية ،وجملة (**فَرَضِيْنَا**) لا الرضا النابع عن قناعة قلبية ، وإنمَّا يدل إلى تقابل ناقص غير مكتمل بثّه الإمام فيها ، بعنى أنّ القوم الذين لم يصرح بهم (رفضوا) إعطاءنا حقّنا في خلافة رسول الله ، بقرينة أنَّ هذه الجملة الفعلية ناقصة من المفعول به حذفه الإمام لكي يدل إلى أنّ (رضاهم) لم يكن تمام القناعة في نفوسهم ﷺ فقابل بين (الرضا) وضده (الرفض) دلالياً عبر حذف الطرف الثاني لوجود القرينة التي يحملها الطرف الأوّل لإلفات القارئ له ، وأكّد الإمام بعطف جملتين تحملان الدلالة نفسها على هذا التقابل الناقص الحامل لدلالة اختلال القيم والمبادئ ، عن طريق التقابل التام الذي جاء تضادياً لتقابل تام حذفه الإمام لدلالة المذكور إليه وهو من أبلغ أنواع التقابل في الجمالية النصية البلاغية ونهاية الإيجاز[٤٣]، وهما في قوله:(**وَكَرِهْنَا الفُرْقَةَ وَأَحْبَبْنَا العَافِيةَ**) وهدف الإمام فيهما هو تعزيز تبريره (رضاهم) وتقوية حجته تجاه المتلقي القارئ لكتابه ، ولرفع اللثام عمن يدعي أهليته المقام النبويّ ، كـ(بني أُميّة) وبيان التقابل المحذوف قبال المذكور هو الآتي :

أهل المقام– ط١/المذكور		**القوم – ط٢/المحذوف**
(كَرِهْنَا الفُرْقَةَ)	←	**(أَحْبَّها)**
(أَحْبَبْنَا العَافِيةَ)	←	**(كَرِهَها)**

وفي الطرف الأول قام الإمام بإضافة الضمير المتصل (نا) إلى الفعلين ، ليكون في موضع الفاعلية العائدة إليهم التي دلّ إليها هونفسه (نا) ، إذ أشغل وظيفتين في برهةٍ واحدة ،الأولى: تأكيدية ، والثانية : ثبوتية [٤٤]، وكذا الحال عند المفعولين في الجملتين وهما:(**الفُرْقَةَ**) ، (**العَافِيةَ**) إذ قرن الإمام كليهما بـ(أل) التعريفية التي تفيد التخصيص

[٤٣] - ينظر : التقابل الجمالي في النص القرآنيّ : ص ١٥٦ .
[٤٤] - ظ : في جمالية الكلمة : ص ١١٩ .

والإستغراق ، لأهليتهم في الحفاظ على شمل الأمة ووحدتها وبثّ روح الإنسانية والتسامح وحبّ الخير بين النّاس، وهذا التخصيص في عمقه الدلالي ووظيفته التراتبية إنصهار مع العطف بين الجمل الذي يؤدي الترابط والتماسك وقوّى التأكيد المساق في جمل الكتاب السابقات بما انطوت عليه من نكات جمالية بانت في أثناء التحليل التأويلي.

وبعد هذا عرّج الإمام ليقرع أسماع متلقيه بـ(الجملة التأكيديّة الكبرى) في كتابه كلّه ، والذي يمحّص النظر يجد أنّها (العقدة) الفريدة التي توسطت قلب بنية نصّه ،إذ إنَّها حملت قلب الغرض الرئيس الذي كان سبباً في نسجها اللفظي والمعنوي معاً لإيصاله إلى المتلقي بصورة هندسية خلّابة تثير مكامنه وتهزّ كينونة ضميره ، وتنشط حميّته على الدين الحنيف ، بهكذا جمال تعبيري غاية في دقة البناء وحذاقته وفي تشكيل العمارة التركيبية المحكمة التي تقدح خَلَد المتلقي للوهلة الأولى ، ناهيك عن الإيجاز الجميل ، وهي قوله:(**وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّاْ أَحَقُّ بِذَلِكَ الحَقِّ المُسْتَحَقِّ عَلَيْنَا مِمَّنَ تَوَلَّاْهُ**) ، لقد شحنها الإمام بالأبعاد الدلالية للمؤكّدات السابقة كلّها،ومن ثمّ حقّقت تأكيد التأكيد لفحوى الغرض الرئيس عنده ﷺ وكما في الرسم الآتي :

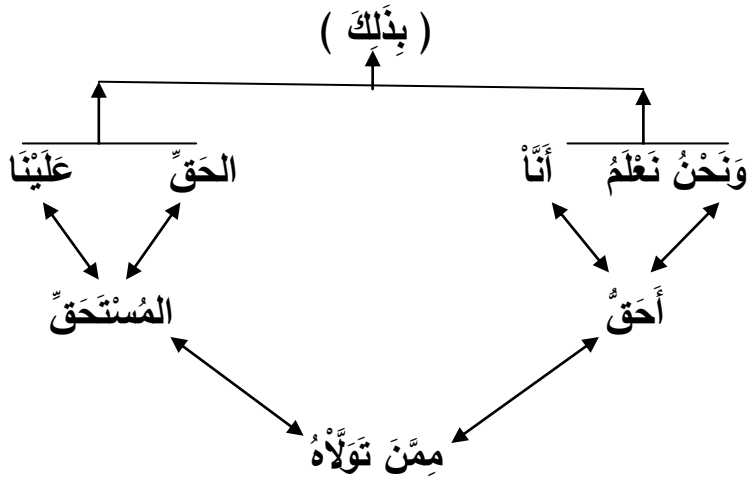

يا لجمال هذا البناء الهندسي..!، الذي اكتنزت شرائح دلالية مركزية مهمة جداً بين أثنائه الجوهرية وطيّاته العرضية ، وهو يرسم لمتلقيه قسطاساً مستقيماً بنائياً وإشارياً ، له كفّتان متساويتان في الوزن لم ترجح واحدة على الأخرى ، فالأولى: فيها ضميران يتوسطهما فعل المعلوم والمغذية دلالياً وتراتبياً مشتق منبع الحق التالي عليها مباشرة ،

من قطب ارتكاز الكفّتين وهو اسم الإشارة (بذلك) الذي يعكس التبادل الدلالي بين (المقام= و= الحقّ) ، وكأنَّ الإمام أراد أنْ يرسّخ عمق علاقتهم بالحقّ والمقام من خلال حصر(**أَحَقٌّ**) بين (**وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّاْ**) ؛و(**بِذَلِكَ الحَقِّ المُسْتَحَقِّ**) لتترشح من هذا القصر التراتبي دلالة منبع اشتقاقهم من الحقّ فصاروا منه وله وإليه.! ، أمّا الثانية: ففي التراتب نفسه إذ توسط (**المُسْتَحَقِّ**) بين (**الحَقِّ**) ؛و(**عَلَيْنَا**) ، والحقّ جاء معرّفاً بـ(أل) التي يتجسّد فيها التخصيص والعهدية بوصفها متصلة بمصدر لتثبيت التأكيد التأبيدي الذي تحمله هذه الجملة الإستثنائية ، أمّا شِبه الجملة (علينا) فأفادت التأكيد التراتبي والإضافي بين الجار والمجرور، ثمّ لو تنبهنا إلى الوزن الإشتقاقي لفردة (**المُسْتَحَقِّ**) المشتق من (الحق) والتي تحمل احتمالات كثيرة ،أهمّها: دلالتان ؛البلاغية لإفادتها معنى الكثرة والتكاثر والتعظيم ،ومنها انبثقت أُختها التي أعطت معنى الأهلية والإستحقاق ، وكلتاهما تعزّزان ملازمة التقابل الإشاري تجاه الاسم المشتق (**أَحَقٌّ**) من حيث تقابل الأهلية والإشتقاق بالمصدر (الحق). وعلى الرغم ممّا أدّته مفردات الجمل السابقة مجتمعة من تأكيد ، إلّا أنّ الجملة السابقة كوّنت تأكيداً آخر عن الطريق الإضافة المتشبعة علاقةً بين (الحق + المستحق+علينا) بفعل الخط الدلالي الرابط هذه الجملة بسابقتها:(وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّاْ أَحَقٌّ) كما هو بيّن في شكل الرسم.

ثمّ إذا أرجعنا البصر كرّةً إلى قول الإمام :(فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا بِذَلِكَ) سنرمق تقابلاً دلالياً جميلاً أجراه ﷺ بينه وبين قوله:(وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّاْ أَحَقٌّ بِذَلِكَ الحَقِّ المُسْتَحَقِّ عَلَيْنَا) ، وفحواه الدلالي أنّ الإمام في حديثه عن مظلومية سلب المقام منهم أَخّر اسم الإشارة ، المجرور الدال إلى البعيد – كما ذكرنا سالفاً– فعبّر عن إبعاهم منه بالتراتب التركيبي الدال إشارياً. في حين عند حديثه عن الحقّ المستحقّ وسّطه حصرياً بين المشتق ومصدره ؛ و(الباء) الملازمة للإشارة مرتين هي نفسها المتصلة بالمقام، التي ترشّحت منها دلالة البدلية منه.

وبعد هذا قام الإمام بحذف المضاف إليه التالي للمشتق وتقديره :(أَحَقٌّ **النّاسِ** بِذَلِكَ الحَقِّ) وتستقيم كما في سابقتها(أَحَقَّ النَّاسِ بِمَقَامِهِ) إلّا أنَّ حذفه حتى لا يكون هناك فاصل بين (أَحَقٌّ بِذَلِكَ الحَقِّ) فيختل بناء دلالة التركيب الهندسي الذي يريد من ورائه

تأكيد إرتباطهم بمقام الرسالة المحمّدية ، وهذا غاية إقتصاد الإيجاز بمطابقته متطلبات السياق بنوعيه التركيبي والمضموني.

وهناك تقابل على المستوى الوزن الإشتقاقي الذي يبدو لنا قد لخّص التقابلات المتعدّدة ، ألا هو الحاصل بين الفعل (**فاسْتَأْثَرَ**) والمشتقّ (**المُسْتَحَقِّ**) وكالآتي :

(**اسْتَأْثَرَ** ⟵ استفعل) مزيد ثلاثي

(**المُسْتَحَقِّ** ⟵ مستفعل) مزيد ثلاثي

وأهمية هذا التقابل هي لإلفات ذهن المتلقي القارئ إلى هذين الخطّين ، كلّ بموقعه في جملته وما يشكّلانه من إيقاعٍ توازني فيشدّه إليهما أيضاً. كما أنّ هناك تقابلاً تركيبياً إنزياحياً وظّفه الإمام بينها، إذ قدّم الفعل (**اسْتَأْثَرَ**) على جملته بعد حذفه الفعل (طغى) الذي أفصحت عنه (الفاء) ، فتجاوب مع الدلالة المركزية عنده ، أمّا المشتق (**المُسْتَحَقِّ**) فجاء برتبته بحسب المنطق اللساني ، ليرشّح في ذهن قارئه أنّ الحقّ إذا كان في يد أهله المستحقين له ، فإنّ النظام سيستقيم في المجالات كلّها. لذا نلحظه تدرّج بآلية تشغيل التقابلات بين الجملتين، بدءاً بتقابل المفردات وختاماً بتقابل تراتبهما .

فضلاً عن ذلك أنّ إنزياحات التقديم والتأخير الحاصلة آنفاً ، تعضد رؤيته وتقوّيها في صيرورة صورة أهل الحقّ مستقرة في وجدان القارئ وضميره ليتهيّأ قلبياً وذهنياً لنصرته فيما بعد.

ثمّ نجده قد ذيّل جملة التأكيد الكبرى :(وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّاْ أَحَقُّ بِذَلِكَ الحَقِّ المُسْتَحَقِّ ، مِمَّنَ تَوَلَّاْهُ) ، بجملة المفضول المقصود بتلك المقارنات كلّها لأنّه القطب والمسبب إلى ما آلت إليه الأمور ، وهي :(**مِمَّنَ تَوَلَّاْهُ ..؟!**) ،لتكون النتيجة التي قدّمها الإمام لقارئه مفادها أَنّ اختياراالله لهم لإمامة مقام النّبي هو الأَحقّ بتولّيه بدليل دخول (**مِنْ**) الجارة عليه (**مَنْ تَوَلَّاْهُ**) التي لا تدخل إلا بين الفاضل:(أَحَقُّ) الذي وقع خبراً [٤٥]، والمفضول الذي أُشير إليه بـ(**مَنْ**) العاملة التي وقعت استفهاماً إنكاريّاً عليه ، لينشط تفكير قارئه ويكسر الجمود عنده متأمّلاً، مَنْ هذا الذي لم يصرح الإمام باسمهِ... لحتمية الظرف

[٤٥] - ينظر : المعجم الوافي في النحو العربيّ : ص ١١٩ وما بعدها .

المُكَتَّم ؟! ، ولم يقرن ذكر المقام... بعده ؟.، واستعاض عنه بالضمير الظاهر ، لأنّه أعرف المعارف ،وأقواها حجّة في هزِّ نفوس قرائه وشدِّها وإلفاتها.

فضلاً عن فائدة هذه الوظيفة في دلالتها النحوية ،فهناك أُخرى لاتقل عنها أهميّة ، وهي دلالة الحصر التي أبانها الإمام من خلال وضعه الفعل (تَوَلّى) بين الإستفهام والضمير الذي يأخذ خَلَد المتلقي باحثاً عن معلّقهِ ، أي ؛(المقام المحمّدي) ،ويعدّ هذا الأسلوب من أعلى درجات البلاغة وأجملها في اشتغال الخطاب الحِجاجيّ [٤٦]، لما يمارسه من وظيفة إقناعية ،يكشف في الوقت نفسه عن الحالة النفسية والصدمة الفكرية[٤٧] والوضع الإجتماعيّ المتأزم الذي مرَّ الإمام بهِ باتساع رقعة أهل الباطل وهيمنتهم المستبدة الظالمة على كلِّ ما هو إلهيّ وإنسانيّ .

وهذا الحصر للفعل في الوقت نفسه ، فيه إشارة لطيفة إلى آيتين في نصِّ القرآن الكريم ، هما قوله تعالى:﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ○ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [٤٨]، فالإمام عليه السلام أوجزهما، وكثّفهما بالفعل **(تَوَلَّاهُ)** إذ إنّه ورد في التعبير القرآنيّ مرّة واحدة .!، فلا يذهب ذهن أصحابه إلّا إليه فجاء به محصوراً تركيبياً ، ليظهره إشارياً لهم لأنهم من الخواص ويعلمون الإشارة من الإمام التي يحتّمها السياق المُكَتَّم ،ومضمون الآيتين واضح ومندمج مع غرضه تجاه أصحابه في خطاب كتابه.

وهناك نكتة أخرى أَكّدها الإمام في الحصر المتحقق تراتبياً للفعل (تولّى) هي التخصيص الواقع وتأكيده من دون ذكر اسم الفاعل صراحة ، ليعطي قارئه ومضة نهضة واستنفار ، فحواها أنَّ الظرف الحالي والقولي ، ليس في مقام ذكر أسماء ومنجزات وإطناب حديث ، وإنما المقام مقام أفعال ومواقف في هذا الوضع الحسّاس الذي يمرّ بالإسلام حينئذٍ ، لذ نلمحه أكّد دلالة الرؤية هذه في الجمل المتعاطفة التي حملها الإلتفات المتحقق في أسلوب الإنتقال من الخطاب بنبرة الإفرادية ، إلى الحديث الجمعي والجماعي تناسقاً وتناسباً مع الدلالة المركزية في لملمة الشمل لنصرة كتاب الله وسنّة نبيّهِ محمّد ﷺ ولمقارعة الظلم والطغيان ولتهيئة أذهان أصحابه لإستعاب مطلب الغرض واستجابتهم له

---

[٤٦] ـ ظ : النص الحجاجيّ العربيّ ؛ دراسة في وسائل الإقناع (بحث) : ص ٥٦ .
[٤٧] ـ ظ : النقد الجماليّ في النقد الألسنيّ (بحث) : ص ٢٠٠ .
[٤٨] ـ الحجّ : ٣-٤ . و ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ؛ م . ولي .

الذي من أجله أرسل كتابه.!، فجاءت هذه الجمل بصورتها المتجاوبة مع السياق الزمكانيّ ، في قوله:(**وَقَدْ أَحْسَنُوْا وَأَصْلَحُوْا وَتَحَرَّوْا الحَقَّ**...) ، نلحظ الإمام مؤكّداً أفعال هذه الجمل الخبرية المثبتة بحرف التوكيد (**قَدْ**) الذي يفيد معنى تحقّق وقوعها ، ويدلُّ إلى قريب الماضي[٤٩]، من الحال المقاميّ فبتوظيفه أدّى هاتين الفائدتين ، ونجد توظيف حرف التوكيد نفسه في نداء أذان إقامة الصلاة ، هو (**قَدْ** قامتِ الصَّلاة) إذ أَوْمَأَ إلى أصحابه وألمح..إلى أنّه نداء استنفارٍ لنصرة دين الصَّلاة ، عبر هذا الإستعمال الرمزيّ المحمّل بالطّاقات الفنّية والجمالية كلّها.

وكذا الحال لم يورد أسماء فواعل الأفعال ، كما نلحظه في الوقت نفسه قد عمد إلى المفعول به فحذفه من الجملة الأولى والثانية وذكره في الثالثة ، لا للتوظيف البلاغيّ ولغاية الإيجاز فحسب ، بل هو وسيلة يعلم متلقيه بها ويخبرهم بأنَّ مقتضى الحال هو مقام عمل واجتهاد –كما أشرنا سالفاً– مثلما كانت مواقف الماضين وأفعالهم وأعمالهم تجاه الحقّ ونصرة أهلهِ ، وهذا الذي عبّرت عنه البلاغة بحذف لعدم اهمية ذكره ، ولعدم تعلقه بالغرض [٥٠]. أما ذكر المفعول به في الثالثة (**الحَقَّ**)، فلأنَّه هوالغرض الرئيس ، و والهدف الأساس من وراء شحذ الهمم ، إذ أراد أنْ يلفت إنتباههم إلى أَنَّ الماضين (أحسنوا و أصلحوا و تحرَّوا) لأجل (الحقِّ) ؛ بدلالة الفعل (تحرَّوا) إلى التّوخِّي والعَمَد مع تجاوب صوت (الراء) المضعّفة فيه عمق المعنى كثيراً ؛ أي : توخَّوا وعَمَدُوا [٥١]،تجاه الحقّ بجدّية العمل والتضحية في سبيلهِ.

وهنا إشارة أُخرى من الإمام إلى أصحابه نحوالقرآن لإستبيانها في قوله تعالى:﴿ **وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا** ﴾[٥٢]، فكثّف هذه الآيات الثلاث في فعل واحد (تحرَّوا) الذي جاء في القرآن مجيئاً يتيماً لمرَّة فقط.

وأنّ هذه الآيات قد جمعت الدلالة الأُم بركائزها كلِّها، من حيث(السَّببُ)، و(المُسببُ)، و(النتيجة) والمتلقي إنْ تأمّل كاشفاً.! ، سيلحظ مطلب الإمام جليَّاً. إذ إنَّه وضعه أخيراً مسنداً إليه (الحقّ) بحسب تتابع تراتب جمل الإلتفات الجمعيّ السابقة ،

---

[٤٩] ـ ينظر : المعجم الوافي في النحو العربيّ : ص ٢٣٠ .
[٥٠] ـ ظ : دلائل الإعجاز : ص ١٥٣ . و ظ : نثر الإمام الحسين عليه السلام - دراسة بلاغية - (رسالة) : ص ١٢٣ .
[٥١] ـ ظ : لسان العرب ؛ م . حرى .
[٥٢] ـ الجنّ : ١٤- ١٥- ١٦ .

ليكمل بهذا..! الصورة التي تضمّنتها هذه الآيات الكريمات، تهيئة أذهان أصحابهِ للدخول في بوتقة طلب الغرض المركزيّ ؛

بأسلوب الدعاء المؤكّد ما قبله ، والخاتِم جزءَ أوّلِ كتابهِ، وهو: **(فَرَحِمَهُمُ اللهُ وَغَفَرَ لَنَاْ وَلَهُمْ)** ، أكّد هذا الدعاء المضغوط دلالياً ولغويّاً ، الأفعال الماضية ، ليُنبِّهَ الإنسانية عبر العصور إلى الذي (يحسنُ ، ويصلحُ ، ويتحرَّى الحقّ) يشمله الله برحمته ، وغفرانه ، ولينبئ بهِ بأنَّ الله يرحم من ينصر دينه ويُحسن سريرته ويتوخّى الحقّ ، فسيستغفر له أيضاً ؛ والدرس الأخلاقيّ الآخر الذي يقدّمه لهم عليه السلام ، وهو الصفح ومقابلة الإساءة بالإحسان والرحمة والعطف وهداية الضال إلى سبعين محملاً وأكثر، وفي اللحظة نفسها يريد أنْ يطمئن أصحابه بخصوص صدوره منه لا من غيرهِ ، بقرينة ذاتية هي أنّ الآخر لا يمتلك لياقة هذا الأسلوب ، بل شيمته التهديد والقهر والظلم والجور..!.

وأنّ الدعاء كوّنه الإمام بشفرة الإشارة لوضعه لفظ الجلالة **(الله)** بين فعل الرحمة والغفران ،فالأول: قرن الماضين بالضمير المتصل (هم) ، وفي الثاني: وصله بذكر ضميرٍ عائدٍ إليهم(لنا)وأجرى إنزياحاً أَخَّر بموجبهِ شِبه الجملة(لهم) ؛ لبلاغته في إظهار رحمته

للعالمين ، وتخصيص غفرانه له وحده لفرادة المحسنين. ثمّ لو نظرنا إلى الضمائر فيها، سنجدُ توظيفَها بنسقٍ جمعيٍّ متناسبٍ ومطلب سياق دلالة المعنى بين عالمية رحمتهِ ومضمونِ غرضِ أصلِ بِنيةِ كتابهِ في تكاتفِ نصرةِ حقٍّ منبع الرحمةِ نفسها، إذ القصاص حياة. من هنا جاء بهذا النسق الدعائيّ ليعدّ النفوس ويجعلها تنكر أنانيّة ذاتها تجاه مصلحة الأُمة والتفكير باسم الجماعة.

وهذا الأسلوب نابع من نسق المنظومة القرآنية بما فيه أسلوب الإلتفات، نحو قوله تعالى:**﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾**[٥٣]، وكذا الحال في شمولية بناء الشكل الجمعيّ ، كقوله جل جلاله :**﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾** [٥٤]، وهذا الذي كان قاصداً به في دعائه عليه السلام في تعميق بؤرة مركزية دلالة المضمون الذي شحنه في بنية نصّه الإيجازي المكثّم.

---

٥٣ ـ البقرة : ٤ـ ٥ .

٥٤ ـ العنكبوت : ٦٩ .

وبعد هذا عدل ملتفتاً بنبرةٍ خطابية تأكيدية إفرادية النسق وخطاب قصد به أصحابه ؛إذ قال :(**وَقَدْ بَعَثْتُ رَسُولِي إِلَيْكُمْ بِهَذَا الكِتَابِ**)، كان هدف الإمام من وراء هذا الإحكام في هندسة بنية جملة إفتتاحه الجزء الثاني ،هو إثبات صدور الكتاب منه إلى أصحابه ، وتحقيق الثقة الراسخة في نفوسهم ، والإيمان المتجذّر القوي في قلوبهم ، لإبعاد فجوات التردد ، وثغرات الشَّك بنفي وثاقة صدور الكتاب من ساحته ،وبأنَّهم المعنيّون به ، لذا فالجملة جاءت وهي محمّلة بشرائح توكيدية مكثّفة ومتآصرة دلالياً ، من حيث النسق الإفرادي الذي حمل الإلتفات الأخير في كتابه ، نلحظه أدخل حرف التوكيد **(قَدْ)** على الفعل المبني للمعلوم **(بَعَثْتُ)** المتصل بضمير الرفع المبني على الضمّ**(تُ)**، الدالة إلى فاعلية الإمام من خلال اتصالها المباشر بالفعل ، إذ جعلته مبنياً والبناء بحسب المنطق يدل إلى الثبوت مع إضافتها إليه ، فيجتمع إشتغال **(قَدْ)**، ووظيفة **(تُ)**، لمتأكَّدٍ واحدٍ ، مع مجيء المفعول به **(رَسُولِي)**، مباشرة المتصل إضافياً بـ(ي)،المتكلم وهو الإمام والتي يقصد بإضافتها إلى معرفة أو إلى نكرة ، زيادة التوضيح وإزالة الغموض والإبهام لكليهما [٥٥].

فإنَّ هذه التراتبية الإتصالية بين أجزاء الجملة ، جعلتها مثبتةً محضةً بحسب الدلالة النحوية العاكسة على المعنى النسقي الدلالي للتوكيد ، ثمَّ عيّنهم بخصوص تلقي الكتاب ، في قوله:(**إِلَيْكُمْ بِهَذَا الكِتَابِ**)، فلو نظرنا إلى الجملة كاملة لألمحنا أنَّه أقحم شِبه الجملة **(إِلَيْكُمْ)** بين رسولي و(بهذا) لإفادة حصر التعيين والتخصيص – كما أشرنا سابقاً– ليدل هذا الحصر التراتبي في نهاية الأمر إلى التأكيد، حد ثبوت الثبوت بوصفهم معنيين بالكتاب لاغيرهم.

وعلى الرغم من دقّة الإمام في الإيجاز المكتّم ، نراه ذاكراً شِبه الجملة**(إِلَيْكُمْ)**، ولو حذفها لما اختل المعنى ولا نظام الجمل، ولكن أهمية تأكيد المورد وتخصيصه يوجّبه مطلب السياق [٥٦]؛ فضلاً عن هذا نلحظ تأكيده لفظ **(الكِتَابِ)** في الجملة باسم الإشارة**(بِهَذَا)** الذي يحمل الدلالة للقريب ، والمجرور بالباء الدالة إلى المعوية والإلصاق

---

[٥٥] - ينظر : المعجم الوافي في النحو العربيّ : ص ٣٦٧ .
[٥٦] - ينظر : الميزان في تفسير القرآن : جـ ١٠- ص ١٧٥ .

،لتأكيد الكتاب، مع أنَّه جاء به معرَّفاً بـ(ال) التخصيصية العهدية والتعريفية معاً [٥٧]،إنَّ هذا النوع من استعمال المؤكدات وتوظيفها له علاقة وطيدة ووثيقة بمُسببات حذف ذكر الأسماء كلِّها بما فيها اسمه الطاهر، لدواعي السرية والكتمان.

وبعدها أورد نصّ طلبه وغرضه في قوله:(**وَأَنَـاْ أَدْعُوْكُمْ إِلَـى كِتَـابِ اللهِ وَسُنَّـةِ نَبِيِّـهِ** ﷺ) جاء ترتيب التركيب مؤكّداً ومعطوفاً على مؤكّدات الجمل السابقة، بما تحمله من معنى ومضمون ، لإفادة إثبات الإرتباط بينه وبين الدعوة والمعنيين بها والمُرسَل مع إقرار صدور الكتاب منه ﷺ إذ قام بتوظيف الضمير المنفصل (**أَنَـاْ**) في الصدارة لأنّه غير مركب لا إضافةً ولا كتابةً ؛ ودلالةُ شكل رسمه فيها رمز الوقوف والإنتظار وإثارة القارئ وترقّب الإستجابة السريعة العاجلة ، ولم يقل (أنِّي) وإن كان يفيد التوكيد إلّا أنَّ فيه دلالةَ الإبطاء والإضطراب.

بعد هذا التأكيد كلِّه،عمد إلى التأكيد بالفعل المضارع المبني للمعلوم(**أَدْعُوْكُمْ**) الدال إلى الحاضر والمستقبل المستمر بقرينة مائدة دعوته(**كِتَـابِ اللهِ وَسُـنَّـةِ نَبِيِّـهِ**)الأبديّين، والمتصل بضمير الخطاب(**كُمْ**) المضاف إليه والعائد إلى أصحابه في شِبه الجملة (**إِلَيْكُمْ**) لزيادة تأكيد خصوص الكتاب بهم والدعوة إليهم ، و(الميم)المتصلة بـ(كاف الخطاب) عملت وظيفتين؛الأولى: خصّصت ضمير الخطاب بأصحابه جميعاً ؛والثانية: تجاوبها مع مطلب السياق بصوتها وشكلها من حيث دلالة الإنضمام والوحدة والتجمع والجماعة.

وإذا دققنا النظر في تراتب التركيب فالفعل (**أَدْعُوْ**) وقع بين ضميرين ، لِيَنْتُجَ حصرٌ تركيبيٌّ يعضد الدلالات السابقة في إثبات الدعوة ، ولإثارة فضول المعرفة عند أصحابه لما يحمله الفعل من إشارات محالة إلى النص القرآنيّ ،وعند قوله تعالى:﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [٥٨]، وهنالك إشارة أخرى محالة إلى حدث مهم واكب ولادة كتابه إليهم ضمّه الفعل (**أَدْعُوْ**) رمزياً ليدل إليه، لم يذكره لعلمهم به؛ هو خروج يزيد خاطباً بقومه بعد أن نصب رايات

---

[٥٧] - ظ : المعجم الوافي في النحو العربيّ : ص ٤٧ .

[٥٨] - يوسف : ١٠٨ .

سوداً قائلاً لهم:(أدعوكم إلى سُنَّة عمر بن عبد العزيز..) [٥٩] كان لهذا الأثر العميق في نفسية الإمام؛فعَبْر هذا الحصر التراتبي لـ(**أَدْعُوْ**) كثّف وأوجز واقتصد لغويّاً مضامين الآية والحدث جميعها، لمراعاة المقام ولفهم متلقيه بوصفهم أشرافاً من علماء البصرة وأدبائها؛ وهذه هي غاية الإيجاز المكتَّم وظّفه الإمام بجمالية فنية بديعة.

لذا نجده مؤكّداً لأصحابه(الكتاب والسُنَّة)، ومن ثَمَّ أطلق تقابله الذي يحمل النتيجة التي برّزت دعوته إليهم لمائدة القرآن والسُنَّة المطهرة ، وهذا التقابل يشير إلى كشف تقابل تضادي مضمر حذفه الإمام حمل قرينته هذا التقابل الظاهر المبني عند قوله:(**فَإِنَّ السُّنَّةَ قَدْ أُمِيْتَتْ ؛ وَإِنَّ البِدْعَةَ قَدْ أُحْيِيَتْ**) ،وفي هاتين الجملتين إلتفت من الفعل المعلوم (بعثت...؛...أدعوكم..) إلى العدول للمجهول ، لحكمة بيّنّاها فيما سبق للمعلوم ؛ وسنحللها هنا للمفعول في وصفه حال (**السُّنَّة**)، وما يقابلها(**البِدْعَة**) بنى الفعلين للمجهول (**أُمِيْتَتْ**) وما يقابله(**أُحْيِيَتْ**) ؛ لأوجه نكات إحتمالية أهمها الآتي:

أ–حذف الفاعل لعدم أهميته بقدر ما للسنة من شأن أكبر، وكذا الحال في فعل البدعة لخطورتها، فلجأ إلى البناء للمجهول .

ب– إنّ أصل الفعل (**أُمِيْتَتْ**) ، (**أُحْيِيَتْ**) ،فعلان معاران مجازياً من واقع موت الإنسان وحياتهِ ، كناية عن السنة المعطلة والتعاليم الإلهية المحرّفة ، جيء بهما لإثارة المتلقي نفسياً وفكرياً وتفاعلياً ونحوها في المشاركة لمعالجة انقلاب القيم والمبادئ ، لأنّ العرب إذا استغربت من شيء عبّرت عنه بالبناء للمجهول .

جـ– حصر الإمام (**السُّنَّة**) ، و(**البِدْعَة**) كلاً منهما بين مؤكدين(إنَّ...قد) تركيبياً ليثبت به تحقق الحدث دلالياً ولفظياً، ومن خلال آلية انتقائه هندسة حصر التركيب أن يقوم أصحابه بكشف المسكوت عنه المضمر وراء التقابل التضادي الظاهر، ليتفاعلوا في اتخاذ موقف جدي مسؤول ، وهو مضمون غرض إرسال كتابه إليهم؛ ومعناه:(دعوتي إليكم لإحياء السنة التي قد أُميتت ، ولموت البدعة التي قد أُحييت) بآليّات كتاب الله وسنة نبيِّه ﷺ وأدواتهما..؛ فضلاً عن الإيقاع الموسيقي الذي ولّداه التقابلان الظاهر والمضمر في نقل الحدث متناغماً موسيقيّاً والمنسجم مع منظومة المتلقي العقلية وشبكته الثقافية؛ والتقابلان والمؤكدات في الرسم الآتي :

---

[٥٩] – ينظر : لسان العرب ؛ م . رجج .

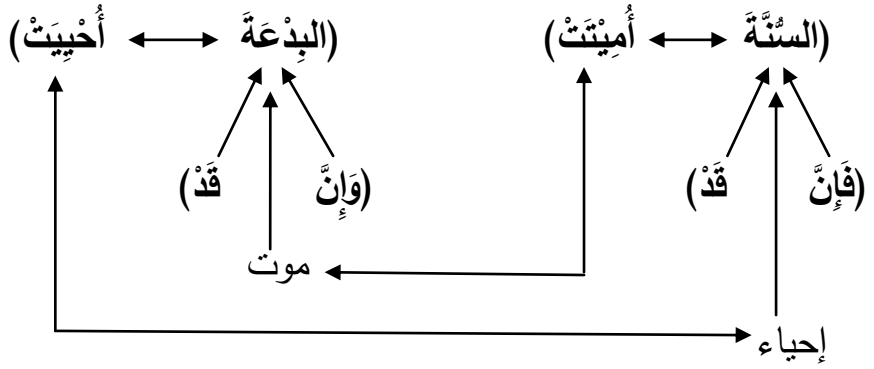

د- إنّ بناء الفعل للمجهول فيه نكتة عرفانية مهمة وجوهرية ، مفادها أنّ إسناد فعل (الحياة) وفعل(الموت) مختصّان بفاعلية الله العلي القدير وحده ، فلا يمكن إسنادهما لغيره من بني البشر إلا من أَذِنَ هو له ، كنبي الله عيسى عليه السلام من الأنبياء والمعصومين؛نحو قوله ﷻ:﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** ﴾[٦٠]، لذا بنى الإمام الفعلين للمجهول تحقيراً للفاعل من بعد حذفه وهم بنو أمية،وتفخيماً لجريمتهم النكراء. ومن بعد هذين التقابلين يعدل ملتفتاً من المجهول إلى المعلوم في جملته الأخيرة الحاملة التركيب الشَّرْطِي الذي يضمّ ثلاثة أفعال الأول والثاني للطلب والثالث لجواب الشرط ، بأسلوبٍ ترغيبيٍّ ومشوّق ؛ إذ يقول:(**وَإِنْ تَسْمَعُوْا قَوْلِي وَتُطِيْعُوْا أَمْرِي أَهْدِكُمْ سَبِيْلَ الرَّشَادِ**) فإنّها جاءت معطوفة على جملة (طلب الدعوة) وهذا العطف جعلها مندمجة الإشتراك في تحقيق دلالة معنى الترغيب والتشويق المشروطين بإستماع القول وطاعة الأمر؛ الأحقين من حيث أصلُ الدعوةِ إلى (**كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ**) وعظمة صاحبها بوجودهما الأرضي والسماوي ؛ الوضعي والأزلي ؛ فلا موجود أعظم منهما..!.

وإذا دقّقنا النظر فيها وهي حاملة تركيب شرط غرض الإمام ونتيجته ستظهر لنا مجموعة نكات انطوت عليها وهي :

---

[٦٠] - الملك : ٢ .

الأُوْلى: استعمل **(إنْ)** وهي أصل أدوات التوكيد ، وتوظيفها منسجم مع أصالة غرض الإمام ودعوته ، والعرب لايستعملون غيرها ، وإذا استبدلوها بأخرى كانت نائبة عنها [٦١]، لذا صدّرها أوّل جملتهِ لمعرفة قيمتها عند أصحابه.

الثانية: إنّه قدّم الفعل **(تَسْمَعُوْا)** على الثاني **(تُطِيْعُوْا)** ليرسّخ عندهم حُسْنَ قولهِ النابع من معجزة جدّهِ الخالدة ، إشارة إلى قوله تعالى :﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ [٦٢]. وليحصر به**(تَسْمَعُوْا)**هذه الدلالة مع المصدر السماعي(الرشاد) الذي أضافه إلى المفعول الثاني لتأكيدها مع مالهما من توافق دلالي فيما بينهما ختم به تركيب الشرط في كتابه.

الثالثة: جزم الفعل الثاني **(تُطِيْعُوْا)** عطفاً على الفعل **(تَسْمَعُوْا)** من دون تكرار أداة التوكيد الأمّ **(إنْ)** من أجل إبقاء التلازم التركيبي والتجاوب مع مطلب سياق الإيجاز المكثّف، فضلاً عن ملازمة التوازي الدلالي بينهما أيضاً [٦٣]. في الحصول على سبيل الرشاد.

الرابعة: ثمّة إلماح إشاري إلى تقابل تضادي مضمر ، شحنه الإمام في الفعلين**(تَسْمَعُوْا)** ؛ **(تُطِيْعُوْا)** ، هو أنّ إستماع الحقّ ،يقابله إستماع الباطل ؛ وكذا الطاعة أيضاً. ليعلم أصحابه بوجود النجدين من خلال رمز التقابل الظاهر.

الخامسة: نلحظه أضاف **(قَوْلِي)** ، **(أَمْرِي)** إليه ، لينبئ بدلالة الجملتين المركزية ، بأنّها هي الأساس فيهما ، ومن أجلهما طلب الاستماع والطاعة؛ فضلاًعن هذا نجده حاصراً كلّ واحدٍ منهما بين **(وْا)** فاعل الجماعة الدال إليهم ، و**(ي)** ياء المتكلم العائد إليه ، ليعزّز الدلالة المذكورة من دون سريان الشّك أو الريب فيهما عندهم.

السادسة: نحسّ وجود طاقة تنغيم إيقاعي ، أذابها الإمام ﷺ في الجملتين ، ونشمُّ عطرها ما إذا قمنا بالتقطيع النثريّ لهما ؛ وكالآتي :

---

[٦١] - ينظر : التركيب الشرطي في النحو والأصول : ص ٥٠ .

[٦٢] - الزمر: ١٧ - ١٨ .

[٦٣] - ظ : المستويات الجمالية في نهج البلاغة : ص ٢٠٨ .

– – ˘ – / – –	˘ ˘ – – / – –
إِنْ تَسْمَعُـوْا/ قَوْلِي	**وَتُطِيْعُــوْا/ أَمْرِي**
مُتْفَاْعِلُنْ / مُتْفَاْ	مُتَفَاْعِلْ / مُتْفَاْ

وإذا دقّقنا النظر إليهما نجدهما تقتربان من مجزوء الكامل الذي دخل على ضربهِ ، وعروضهِ الحذذ المضمر [٦٤]، فحصل فيهما تصريعٌ بالنقص ، وبقي الروي واحداً هو الياء [٦٥]، فالإمام سكب أسلوب خطاب الترغيب والتشويق لإصحابه في إيقاع موسيقي اعتادوه في ثقافتهم له الأثر العميق في نفوسهم ، ومتجاوب مع منظومة السليقة السائد في حياتهم ،لإثارتهم به لما يعطيه من دلالة التكامل ومنسجم مع الدلالة المركزية ومع توافق التوازي الدلالي بين الجملتين من حيث البنية الشرطية ومعنى الدعوة في البرهة نفسها.

وهذا التشكّل الإيقاعي وارد في الأسلوب القرآني كثيراً [٦٦]، في الآيات التي نزلت بشأن أمر عظيم ، وكان من وراء شحنه بطاقات التنغيم كسر حالة الجمود التي ربّما تصيب المتلقي ، وإثارة اهتمامه ، لأنّه أحد جوانب دلالات المضمون الأساس في بنية النص ؛ ومثال هذا ، عندما رُمِي النّبي ﷺ بأنّه(أبتر) أي؛ لا عقب له ، نزل قوله ﷻ : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ○ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ○ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** ﴾[٦٧]، وإذا قطعنا الآية الأولى سنحصل على تفعيلات تنتمي بأوزانها إلى البحر المتدارك(الخبب أوالمحدث) وتنتسب إليه ،إذ جاءت متناسبة ومتناغمة بحركتها الإيقاعية مع مضمون عطاء (الكوثر)الذي يدل إلى الخير الكثير ،وتأويلاتها متعدّدة بين المفسّرين.

السابعة: جاء فعل جواب الشرط **(أَهْدِكُمْ)** مجزوماً لتقدم فعل الشرط الطلبي عليه ،فالإمام وظّفه للإفادة من دلالته النحوية في تأكيد تحقّق معناه؛(الهدى والهداية)، بدلالة

---

٦٤ - ينظر : فنّ التقطيع الشعريّ والقافية : ص ١٠٧ ومابعدها. **الحذذ:** حذف الوتد المجوع واسقاطه من آخر تفعيلة الضرب والعروض.

٦٥ - ظ : نفسه : ص ٥٠ .

٦٦ - ظ : موسيقى الشعر : ص ٣٠٠ .

٦٧ - ينظر: تفسير الفخر الرازي : جـ ٣٢ ، ص ١٣٢ .

المضارعية المتضمّنة الحاضر والمستقبل القريب والبعيد من جانب ، وبدلالة الجزم نفسه الذي يكتنه معنى القطع ويقين التحقّق والمضي قدماً [٦٨].

الثامنة: إنّ المفعول به الثاني(**سَبِيْلَ الرَّشَاد**) للفعل (أهدكم)؛ يضمر تقابلاً متضاداً حذفه الإمام عن الذكر ، لأنّه معلوم عند المتلقي ، ومنتشر في محيط المجتمع ، هو (سبيل الغَيِّ) والضَّلال؛ إشارة إلى فرعون عصره – يزيد – الذي عاث في الأرض فساداً وجوراً..!؛ وإلماحٌ إلى قوله ﷻ :﴿ **وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۝ وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ [٦٩]، فالتقابل إذاً ظاهرٌ جليٌّ حَمَلَ ثُنائيةً منسجمةً وموحّدةً [٧٠] مع ثنائية التقابل السابق بين (**السُّنَّةِ**)،و(**البِدْعَةِ**) جيء بهما لتعضيد الدلالة المركزية وتقويتها.

ومِنْ ثَمَّ يَخْتم الإمام ﷺ كتابه المُوجَّز المُكثَّف ، بتحية الإسْلام السَّلام ؛ فيقول: (**وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ...**)، وينطوي على جملة من النّكاتِ الإشاريّة نكشف أهمّها:

أ – إنَّه قد اكتفى بذكر جزءين من(السّلام) وحذف الجزء الثالث منه؛ هو(**وَبَرَكَاْتُهُ**) لوظيفتين أدّاهما (الحذف)، الأولى: إشعار أصحابه بالإخلال الحاصل في الدين وتقاليد السُّنّة ومبادئ الإسلام وأعراف المجتمع؛ الثانية: إنّ رفعه (**وَبَرَكَاْتُهُ**) رمز كناية عن عدم وجودها بسبب الفساد المستشري في حياة الناس كافة.

ب – ختم الإمام كتابه بلفظ الجلالة في الجزء الثاني من سلامه (ورحمةُاللهِ...)، كما ابتدأه بقوله:(**فَإِنَّ اللهَ اصْطَفَى مُحَمَّدَاً** ﷺ) فتحقّق حصر كتابه بين الموضعين ، ليرسخ في أذهان أصحابه التوكّل على (**اللهِ**) أوّلاً وأخيراً ؛لإستمداد القوّة وشحذ العزيمة ورباطة الجأش ،وحضّ الحمية لنصرة الحقّ ، والتسليم له وحده ؛ إشارة إلى قوله تعالى:﴿ **لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾ [٧١].

ج – أراد بـ(السّلام) دلالة الإطلاق والعموم والشُّمول لمضمونهِ كلِّهِ ،من حيث سلامةُ الأُمَّةِ من أصنافِ الأمراضِ كلِّها ؛ والعمل بسُنَّةِ جدِّهِ بأداة الإصلاح لقوله الخالد:(**وَأَنِّي**

---

[٦٨] – ظ : لسان العرب : م ، جزم .

[٦٩] – غافر : ٣٧ – ٣٨ .

[٧٠] – ظ : التقابل الجمالي في النص القرآنيّ : ص ١٥٦ .

[٧١] – الروم : ٤ – ٥ .

لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً، وَلاَ بَطِراً، وَلاَ مُفْسِداً، وَلاَ ظَاْلِماً، وَإِنَّمَاْ خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلَاْحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي ﷺ ،أُرِيْدُ أَنْ آمُرَ بِالمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ،وَأَسِيْرُ بِسِيْرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَاَلِبٍ عليه السلام) [٧٢].

خِتَامُ الطَّوَافِ:

بانتْ جمالية بنية إيجاز كتاب الإمام الحسين عليه السلام وتجلَّت بعد أنْ جال التحليل التأويليّ آفاق سماء إنفلاقِها من حيث المذكورات والمحذوفات والإشارات والمعطوفات والإضافات التي شكَّلت الإيجاز مجتمعة ، فضلاً عن اكتنازها في الإقتصاد التَّركيبيّ ، والإختزال اللفظيّ ، والتَّكثيف الدَّلاليّ كلّ بصور توظيفه في مفاصل هندسة ترتيب بنيتهِ الكليّة ، بدءاً بكسر طوق التقليد الفنّي في حذف بسملة الإستهلال واستعاضها بذكر الله مُبْتَدِءً وبصوت حرف (الباء– بـ) الذي تلألأ تسع عشرة مرة بعدد حروفها[٧٣]، بقلقلته النغمية ، ودلالته الإلصاقية البدلية ، تجاوب منسجماً وللغرض ملائماً [٧٤].

جاء العطف ملازماً الإضافة من أقوى جوانب الإيجاز [٧٥]، وأثبتها تأكيداً وتعريفاً ، إذ تماسكت البنية وانسجمت بحركة تفاعلهما ، فلا يأتي العطف إلّا والإضافة معه.!، فشكّلا تناغماً إيقاعياً متآخياً ، مع توارد تكرار صوت حرف(**و**)العاطفة والمستأنفة والفاعلة التي تدلّ إلى الإنضمام والإلتمام الجمعيّ في دلالة صورتها المكتوبة ، والحال هي مع صوت حرف(**هـ**) في الإضافة بموقعه إتصالاً وانفصلاً ، أعطت معنىً رمزياً علاماتياً لمفهوم الوحدة والإئتلاف بهيأة شكل رسمها، مع احتفاظها بصوتها الهادئ المتوسط الجهر الموائم لشفرة غرض الإيجاز المكتَّم ، ووظيفتها الإشارية إلى متعلق المذكور ،وقرينة المحذوف امتزاجاً مع مطلب السياق والتعاقب مع العطف تَناسَقَ التركيبُ نحو التواصل والإلتقاء في قارة الدلالة المركزية.

---

٧٢ - بحار الأنوار : جـ ٤٤ - ص ٤٨٢ . وموسوعة كلماته : ٣٥٤ .

٧٣ - ينظر : تفسير الفخر الرازي : جـ ١- ص ١٧٨.

٧٤ - ظ : البلاغة الصوتية في القرآن الكريم : ص ٥٥.

٧٥ - ظ : خصائص التركيب : ص ٢١١.

وأسّس الإلتفات في هندسة بنية نص الكتاب عنصراً إيقاعياً حاضراً بديلاً عن غياب الفاصلة التي أضمرها الكتم.! وفي نفسه مرآة عاكسة شخصية الإمام ﷺ، في إقدام إيراد المواقف الصعبة وإقحام الوقائع العظيمة ، إذ لا يقتحمها غيره ويردها سواه ، فلُقِّبَ هذا الأسلوب بـ(شجاعة العربية) لأنّه أمير جنود علوم البلاغة وأجلُّها والواسطة في عقودها وقلائدها [٧٦].

وكثرت التقابلات التي تزاوجت مع المؤكّدات منجبة إيقاعاً باراً للفاصلة أيضاً، وسَبْكاً رُؤيوياً حنوناً لكيمياء المضمون الرئيس ، فنصُّ الكتاب إذاً هو بحقّ مُوَجَّز مكتَّم ولا نبالغ إذا أسميناه بـ(**النّصِ الجَامِعِ المُؤسِّسِ**).

[٧٦] - ينظر : الطِّراز : جـ ٢- ص ٧٠ .

مصادر الدراسة ومراجعها:

۞ ﴿ القرآن الكريم ﴾ .

أولاً: الكتب المطبوعة :

- الإسلام والأدب ؛ د.محمود البستاني ، المكتبة الأدبية المختصة ، قم المقدّسة ؛(د–ط) ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ .
- الأسلوب والأسلوبية ؛ د.عبد السلام المسدي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ؛ ط ٥ – ٢٠٠٦ .
- الإيضاح في علوم البلاغة ؛ المعاني والبيان والبديع ؛ للخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩هـ) تحـ بهيج غزاوي ، دار إحياء العلوم– بيروت ؛ ط ٢ – ١٤١٢ هـ– ١٩٩٣ .
- بحار الأنوار لدُرر أخبار الأئمة الأطهار ﷺ؛ الشيخ محمد باقر المجلسي ، تحـ الشيخ علي الشاهرودي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ؛ ط ١ منقحة – ٢٠٠٨ .
- البلاغة الصوتية في القرآن ، د.محمد إبراهيم شادي ، دار الرسالة – الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع ؛ جامعة الأزهر ؛ ط١ – ١٩٨٨.
- تأريخ الأدب العربي ، صدر الإسلام وعصر بني أمية ، د. عبد الكريم العبد ؛ مركز اللغات – أكاديمية الفنون–(د–ط) ١٤٢٧ – ٢٠٠٦.
- تأريخ الطبري ؛ تاريخ الأمم والملوك – محمد بن جرير الطبري أبو جعفر– دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ – ١٤٠٧ هـ .
- التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري القديم ، د. رابح بوحوش ، مكتبة الآداب ؛ القاهرة ؛ ط١ ؛ ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦ .
- التركيب الشرطي في النحو والأصول ، سعود بن عبد الزرجالي ، دار الفارابي ، بيروت ؛ ط١ – ٢٠٠٨ .
- تفسير الفخر الرازي ؛ التفسير الكبير ، مفاتيح الغيب ، لمحمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين (ت٦٠٤ هـ) ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ؛ ط١ ؛ ١٤٠١ هـ– ١٩٨١ .
- تفسير كنز الدقائق ؛ للميرزا محمد المشهديّ (ت١١٢٧ هـ) ، الناشر جماعة المدرسين ؛ قم المقدسة (د–ط) – ١٤١٠ هـ .
- التقابل الجمالي في النص القرآني ؛ أ.د. حسين جمعة ، منشورات دار النمير للطباعة والنشر ، دمشق ؛ ط١ – ٢٠٠٥ .
- جماليات المقالة عند د.علي جواد الطاهر ؛ د.فاضل عبود التميمي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ؛ ط١ – ٢٠٠٧ .
- حياة الإمام الحسين بن عليّ ﷺ ؛ دراسة وتحليل ، باقر شريف القرشي ، تحـ مهدي باقر، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، العتبة الحسينية المقدسة ، ط٢ ؛ ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨ .
- خصائص التركيب ؛ دراسة تحليلية لعلم المعاني ؛ د.محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ؛ القاهرة ، ط٤ ؛ ١٤١٦ هـ– ١٩٩٦ .
- الخطاب الحسينيّ في معركة الطف ؛ دراسة لغوية وتحليل ؛ د.عبد الكاظم محسن الياسري ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، العتبة الحسينية المقدسة ، ط١ ؛ ١٤٣٠ هـ– ٢٠٠٩ .
- دلائل الإعجاز ؛ الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ هـ) تحـ محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة ، ط٣ ؛ ١٤١٣ هـ– ١٩٩٢ .
- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ؛ د.جمعة سيد يوسف ، سلسلة عالم المعرفة ت– ١٤٥ المجلس الوطني للثقافة، الكويت ، يناير ١٩٩٠ .
- صفحات من تأريخ كربلاء ؛ نظرة تأريخية وثائقية ؛ السيد علي أحمد العاملي دار الولاء للطباعة والنشر بيروت ، ط٢ ؛ ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ؛ يحيى بن حمزة بن علي العلوي اليمني (ت٧٠٥ هـ)،تحـ د.عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ؛ ط١ – ٢٠٠٢ .
- فنّ التقطيع الشعري والقافية ؛ د. صفاء خلوصي ، بيروت ، ط٤ منقحة ومزيدة – ١٩٧٤ .
- في جمالية الكلمة ؛ دراسة جمالية بلاغية نقدية ؛ أ.د. حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب في دمشق ، (د–ط) – ٢٠٠٢ .
- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ؛ لجار الله أبي القاسم محمد الزمخشري (ت٥٣٨ هـ) ،تحـ–الشيخ علي محمد معوّض وزميليه ، مكتبة العبيكان– الرياض ، ط١ – ١٩٩٨ .
- لسان العرب ، العلامة ابن منظور (ت٧١١ هـ)، تحـ محمد الصادق العبيدي وزميله ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ (د– ت).
- اللغة والتفسير والتواصل ، د.مصطفى ناصف ، سلسلة عالم المعرفة ت– ١٩٣ المجلس الوطني للثقافة – الكويت ؛يناير ١٩٩٥.
- المستويات الجمالية في نهج البلاغة ؛ دراسة في شعرية النثر ؛ نوفل هلال أبو رغيف ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ؛ ط١؛ ٢٠٠٨ .
- المصطلح النقدي في نقد الشعر ؛ دراسة لغوية تأريخية نقدية ، إدريس الناقوري ، دار النشر المغربية – الدار البيضاء (د–ط) ١٩٨٢ .
- معجم البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، منشورات جامعة طرابلس ، كلية التربية ، ط١ – ١٩٧٧ .

۞ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ؛ محمد فؤاد عبد الباقي ، منشورات ذوي القربى ، مطبعة أميران في إيران ، ط٢ – ١٤٢٣ هـ .
۞ معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها ، د. أحمد مطلوب – مطبوعات المجمع العلمي العراقيّ ، ط١ ؛ ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣ .
۞ المعجم الوافي في النحو العربي ؛ د. علي توفيق الحمد وزميله ، دار الآفاق الجديدة ، الدار البيضاء ؛ ط١ – ١٩٩٢ .
۞ مقتل الحُسين عليه السلام ، تحـ– العلامة السيد عبد الرزاق المقرّم ، منشورات مؤسسة الخرسان للمطبوعات ، بيروت (د–ط) ١٤٢٦ هـ– ٢٠٠٥ .
۞ موسوعة أنصار الإمام الحُسين عليه السلام غير الهاشميين ، حسين نعمة إبراهيم، منشورات المحبّين للطباعة والنشر؛ ط١ – ١٤٣١ هـ–٢٠١٠ .
۞ موسوعة العربية العالمية ؛ قسم اللغة والمعاجم ، شارك مجموعة من العلماء في تأليفها ، المكتبة الشاملة الألكترونية ، موقعها على الشبكة العنكبوتية – http://www.shamela.ws .
۞ موسوعة كلمات الإمام الحُسين عليه السلام؛ أ. محمود الشريفي و زملائه ،معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام، دار الأسرة، قم المقدسة؛ ط١–١٤٢٥.
۞ موسيقى الشعر ؛ د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربيّ ، ط٢ – ١٩٥٢ .
۞ الميزان في تفسير القرآن ؛ للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات الأعلمي للمطبوعات ، تحـ–حسين الأعلمي، ط١–١٤١٧ هـ.
۞ نفس المهموم في مصيبة سيّدنا الحسين المظلوم ؛ المحدث الجليل عباس القميّ ، قم ؛ منشورات المكتبة الحيدرية ، ط١–١٤٢١ هـ .

ثانياً: الرسائل الجامعية :

۞ تأصيل الأسلوبية في الموروث النقديّ البلاغيّ ؛ مفتاح العلوم أنموذجاً ؛ ميس خليل محمد عودة ، ماجستير–جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية ، نابلس – ٢٠٠٦ .
۞ التلقي للصحيفة السجادية ؛ دراسة تطبيقية في النقد العربي الحديث ؛ حيدر محمود شاكر ، ماجستير– جامعة البصرة ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية – ٢٠٠٨ .
۞ نثر الإمام الحسين عليه السلام ؛ دراسة بلاغية ؛ ميثم قيس مطلك ، ماجستير ، جامعة القادسية ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية – ٢٠٠٦ .

ثالثاً: البحوث المنشورة في الدوريات:

۞ التكوين الجمالي ؛ الصورة ومصادرها في قصيدة الخنساء ؛ د. عبد الكريم محمد حسين ، مجلة التراث العربي ، ع١١٤ ، إتحاد الكتاب العرب في دمشق ، حزيران ٢٠٠٩ .
۞ النص الحِجاجيّ العربي ؛ دراسة في وسائل الإقناع ؛ محمد العبد ، مجلة فصول في النقد الأدبي ، مج ع ٦٠ – ٢٠٠٢ .
۞ النقد الجمالي في النقد الألسني ؛ قراءة لجماليات الإبداع وجماليات التلقي ؛ معجب الزهراني ، مجلة فصول في النقد الأدبي ، مج ١٥ ع ٤ – شتاء ١٩٩٧ .